# الكتاب الرابع

## نظم الحكم
## والحياة الإجتماعية والفكرية
## فى مملكة غرناطة

obeikandl.com

# الفصل الأول

## نظم الحكم فى مملكة غرناطة
## وخواصها الإجتماعية

مكانة الحضارة الأندلسية • ذوبها عقب إنهيار الخلافة • انتعاشها أيام الطوائف • ركودها أيام المرابطين وانتعاشها أيام الموحدين • ابن ميمون وابن رشد • الاضطهاد الفكرى أيام الموحدين • الآداب والفنون فى هذا العهد • مملكة غرناطة وخواصها الطبيعية • دولة بنى الأحمر أو الدولة النصرية • شعارها الحكم المطلق • الوزراء الطغاة • أخطار هذا النظام • حمية الشعب الغرناطى • مناصب الحكم الرئيسية • الوزارة والكتابة • قيادة الجيوش • الجيش والأسطول • قاضى الجماعة أوقاضى القضاة • الحسبة • صاحب الشرطة • اقليم غرناطة ومواردها • تقدم الرى والزراعة • غرس الحدائق • بسائط غرناطة • الصناعات الأندلسية • التجارة الخارجية • الموارد السلطانية • الضرائب • تكوين الأمة الأندلسية • أحوال المجتمع الأندلسى • الفروسة الأندلسية •

تعرض لنا الحضارة الأندلسية ، صفحة من أجمل وأروع صحف الحضارة الإسلامية ، والحضارة الإنسانية ، بصفة عامة . وقد نشأت حضارة الإسلام فى الأندلس فى بيئة وظروف خاصة ، واكتسبت بفعل المؤثرات التاريخية والإقليمية والإجتماعية ، لونها الخاص ومميزاتها الخاصة .

وتحتل قصة الحضارة الأندلسية ، فى تاريخ الحضارات الأوربية مكانة رفيعة ، وتملأ فراغاً كبيراً . ولكنها لم تنل مع الأسف مكانها من الرعاية والدرس فى المصادر الإسلامية ، ولم تكتب حتى اليوم كتابة شافية . وأغلب ما كتب عنها فى مصادرنا ، شذور ونبذ متفرقة غير متناسقة ، وتراجم لأعلام التفكير والأدب لم يعن فيها بدراسة الجوانب الهامة . وانه لمن الإسراف أن نقول ، إننا نستطيع أن نستعرض هذه القصة الباهرة المتعددة النواحى ، فى فصل أو فصول ، من سفر يخصص لكتابة تاريخ المراحل الأخيرة ، من حياة الأمة الأندلسية . على أننا سوف نحاول مع ذلك أن نستعرض صور الحضارة الأندلسية فى ظل مملكة غرناطة ، استكمالا لموضوعنا ،

وأن نلقى بذلك شيئاً من الضياء على النظم والأحوال ، التى عاشت فى ظلها الأمـــة الأندلسية فى مراحلها الأخيرة ، وما انتهت إليه فى ميدان التفكير والآداب والفنون . وكما أن مصادرنا الإسلامية فى هذا القسم من تاريخ الأندلس قليلة ضنينة ، فهى كذلك بالنسـبة لصور الحضارة الأندلسية . وقد هلكت معظم الآثار والوثائق الأندلسية المتعلقة بهذا العصر ، كما رأينا على يد الإسبان . ولم يسعفنا فى ذلك سوى بعض الآثار القليلة الباقية ، التى نجت من المحنة ، ولا سيما آثار ابن الخطيب ، وما نقله إلينا المقرى عن آثار ووثائق ضاعت ، وكان له فضل إيصالها إلينا .

*

وإذا كان تاريخ الأندلس السياسى ، يقدم إلينا صوره المتباينة ، من الإضطرام والركود ، والقوة والضعف ، فكذا شأن الحضارة الأندلسية ، فقد وصلت فى ظل الخلافة الأموية فى عهد عبد الرحمن الناصر وولده الحكم المستنصر ، حينما وصلت الدولة الإسلامية إلى أوج سلطانها السياسى ، إلى ذروة القوة والبهاء ، وإن لم تصل يومئذ إلى ذروة نضجها الفكرى . ولما انهارت الخلافة الأموية ، واضمحلت النظم السياسية والإجتماعية ، وسادت الثورة والفوضى أرجاء الأندلس ، وهلكت معظم الآثار العمرانية والفكرية فى غمر الفتنة ، ذوت الحضارة الأندلسية مدى حين ، حتى قامت دول الطوائف فوق أنقاض الدولة الأموية ، واستطاعت بالرغم من صغرها ، وتنافسها وتطاحنها فى ميدان الحرب ، أن تعيد لمحة من بهاء الدولة الإسلامية ؛ وسطعت آيات الحضارة الأندلسية فى قصورها ومنشآتها ، وفى مجتمعاتها ، وأينعت فى ظلها دولة التفكير والأدب ؛ وعرفت الأندلس فى هذه الحقبة المضطربة من تاريخها ، طائفة من أعظم مفكريها وأدبائها وشعرائها ، مثل الفيلسوف ابن حزم المتوفى سـنة ٤٥٦ هـ ( ١٠٦٤ م ) وابن حيان أعظم مؤرخى الأندلس ، وقـد توفى سـنة ٤٦٩ هـ ( ١٠٧٦ م ) وتلميذه الحميدى المتوفى سـنة ٤٨٨ هـ ( ١٠٩٥ م ) . ومن الأدباء والشعراء ، ابن زيدون المتوفى سنة ٤٦٢ هـ ( ١٠٦٩ م ) وابن عبدون المتوفى سنة ٥٢٠هـ ( ١١٢٦م ) وعشرات آخرين من الكتاب والشعراء ، يقدمهم إلينا الفتح بن خاقان فى مؤلفه « قلائد العقيان » . بل لقد كان ملوك الطوائف أنفسهم فى طليعة العلماء والأدباء والشعراء ، مثل الأمير العالم عمر بن الأفطس

صاحب بطليوس ، والمعتمد بن عباد صاحب إشبيلية ، والمعتصم بن صمادح صاحب ألمرية (١) . ولكن سرعان ماانكمشت هذه النهضة الفكرية والأدبية الزاهرة ، عقب مصرع دول الطوائف ، واستيلاء المرابطين على الأندلس فى سنة ٤٨٤هـ ( ١٠٩١م ) . وكان أولئك البربر الصحريون قوماً غلاظاً ، يؤثرون مهاد الجندية والخشونة ، ويضطرمون بالأفكار الرجعية العتيقة ، ويمقتون مظاهر الحضارة الأندلسية المصقولة ، فركدت فى ظلهم دولة التفكير والأدب ، وذوى بهاء الحضارة الأندلسية . أجل سطعت فى ظل دولتهم القصيرة بعض الشخصيات اللامعة ، مثل أبى القاسم خلف ابن عباس القرطبى الطبيب الأشهر ، المتوفى سنة ٥١٦هـ ( ١١٢٢م ) وابن باجة الطبيب الفيلسوف ، المتوفى سنة ٥٢٣هـ ( ١١٢٩م ) ، وأبو بكر الطرطوشى الفيلسوف السياسى ، صاحب كتاب « سراج الملوك » ، المتوفى سنة ٥٢٠ هـ (١١٢٦م) ، والفتح ابن خاقان المتوفى سنة ٥٣٥هـ ( ١١٤٠م ) ، وابن بسام الشنتمرى صاحب « الذخيرة » المتوفى فى سنة ٥٤٢هـ ( ١١٤٧م ) ، وابن قزمان أمير الموشحات الأندلسية ، المتوفى سنة ٥٥٥هـ ( ١١٦٠م ) . ولكن ظهور هؤلاء وأضرابهم فى هذه الفترة ، لم يكن إلا أثراً من آثار النهضة الفكرية والأدبية فى ظل دول الطوائف

وفى ظل دولة الموحدين ، التى خلفت دولة المرابطين فى حكم الأندلس ، انتعشت الحضارة الأندلسية والتفكير الأندلسى . وقد نشأ الموحدون كالمرابطين فى مهاد الخشونة والتقشف ، ولكنهم كانوا أوسع أفقاً ، وأكثر قبولا لثمار التمدن . وكان لدولتهم بالأخص صبغة علمية دينية . إذ كان مؤسسها المهدى ابن تومرت ، من أئمة التفكير الدينى . وأبدى خلفاؤه عبد المؤمن وبنوه اهتماماً بالعلوم والفنون ، وأطلقت حرية التفكير والبحث ، وكانت قد صفدت فى عهد المرابطين ، وأفرج عن كتب الغزالى وغيره من مفكرى المشرق ، وكانت قد طوردت ومنعت فى أيامهم بالمغرب والأندلس . وفى تلك الفترة بالذات أعنى فى أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع الهجرى ، بلغ التفكير الأندلسى ذروة النضج ، وتفجرت ينابيع النبوغ ، وظهرت طائفة من أعظم أقطاب العلم والأدب ، وفى طليعتهم أبو مروان عبد الملك

---

(١) توفى ابن الأفطس قتيلا بيد المرابطين سنة ٤٨٤ هـ ؛ وتوفى ابن عباد فى الأسر سنة ٤٨٨ هـ ؛ وتوفى المعتصم بن صمادح فى سنة ٤٨٤ هـ .

ابن زهر الإشبيلى الطبيب ، المتوفى سنة ٥٦٤هـ ( ١١٦٨م ) . وأبو جعفر بن الطفيل الإشبيلى ، المتوفى سنة ٥٧١هـ ( ١١٧٦م ) . وهو صاحب رسالة حى بن يقظان الشهيرة ، والإمام الفيلسوف أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبى ، المتوفى سنة ٥٩٤هـ ( ١١٩٨م ) ، والرئيس موسى بن ميمون اليهودى القرطبى ، المتوفى سنة ٦٠٢هـ ( ١٢٠٥م ) .

وفى حياة ابن ميمون وابن رشد بالأخص ، ما يمثل لنا طرفاً من سياسة الموحدين تجاه التفكير ، وترددها بين التسامح والاضطهاد . فقد كان ابن ميمون من أعظم الأطباء والفلاسفة فى عصره ، ولكنه اضطهد ليهوديته خلال الإضطهاد العام ، الذى لقيه اليهود فى ظل عبد المؤمن خليفة الموحدين ، فغادر الأندلس إلى المشرق . ونزل بمصر وخدم بلاطها ، وعين طبيباً خاصاً للسلطان صلاح الدين . وندب للتدريس بالقاهرة . وقد كان ابن رشد بلا ريب أعظم فلاسفة الإسلام ومفكريه فى ذلك العصر ، ولد بقرطبة سنة ٥٢٠هـ ( ١١٢٦م ) واتصل منذ فتوته بأبى يوسف يعقوب ابن عبد المؤمن ، المشرف على شئون الأندلس ، وكان الأمير مثل أبيه يجمع حوله أعلام المفكرين والعلماء ؛ وبرع ابن رشد فى الفقه والطب والفلسفة ، وتولى قضاء إشبيلية فى سنة ٥٦٥هـ ، ثم ولى قضاء قرطبة ، واستمر زهاء خمسة وعشرين عاماً ، يتقلب فى مناصب القضاء والإدارة ، فى ظل حكومة الموحدين بالأندلس والمغرب . وتولى أثناء ذلك منصب الطبيب الخاص لأبى يعقوب يوسف ، ثم لولده يعقوب المنصور بعد وفاته ، واتهمه بعض خصومه بالزندقة ، فنفى إلى الأندلس بجوار قرطبة ، وفرضت عليه رقابة شديدة ، ثم استرد مكانته فى أواخر حياته . واستدعى ثانية إلى مراكش ، حيث عفا عنه السلطان المنصور . وأعظم آثار ابن رشد هو شروحه لفلسفة أرسطو ، فى المنطق وما وراء الطبيعة ، وقد ترجمت إلى اللاتينية منذ القرن الثالث عشر ، وكانت مفتاح الدراسات الأرسطوطالية فى العصور الوسطى . وقد كان يغمرها الغموض والحلك ، قبل أن يتصدى ابن رشد لشرحها . وغدت شروح ابن رشد فى الوقت نفسه أساساً لكثير من المباحث الفلسفية ، التى ازدهرت أيام حركة الإحياء الأوربى . بل يرى مؤرخو الفلسفة أن الفلسفة الجدلية الأوربية استمدت من العرب والفلسفة العربية ، أكثر مما استمدت من قسطنطينية التى كانت

مستودعاً لتراث الفلسفة اليونانية . ولابن رشد طائفة كثيرة أخرى من الرسائل والبحوث الفلسفية والكلامية .

وكانت الفلسفة على الأغلب علماً خطراً فى ظل حكومة الموحدين . وقد رأيت ما كان من اضطهاد ابن رشد وسجنه بسبب آرائه الفلسفية ، وقد كان من ضحايا هذا الإضطهاد ، فى هذا العصر ، مفكر أندلسى آخر هو ابن حبيب الإشبيلى ، الذى اتهم بالزندقة بسبب آرائه الفلسفية ، أيام المأمون بن المنصور ، وقتل لهذا السبب(١). وهكذا كانت الفلسفة أيام الموحدين قرينة الإلحاد والزندقة ، وكانت خطراً يجتنبه كثير من مفكرى العصر .

وظهر فى تلك الفترة ، إلى جانب هؤلاء العلماء ، جمهرة من أقطاب الأدب والشعر ، مثل أبى القاسم خلف بن بشكوال القرطبى المتوفى سنة ٥٧٨ هـ (١١٨٣م) ، وهو مؤلف كتاب الصلة الذى ذيل به على كتاب علماء الأندلس لابن الفرضى (٢) وابن بدرون الإشبيلى المتوفى فى فاتحة القرن السابع ، وهو شارح قصيدة ابن عبدون الشهيرة فى رثاء بنى الأفطس ، وابن الصابونى الصدفى الإشبيلى الشاعر ، المتوفى فى سنة ٦٠٤ هـ (١٢٠٧م) ، وقد قال ابن الأبار فى حقه « ذهبت الآداب بذهابه ، وختمت الأندلس شعراءها » .

وازدهرت المعاهد العلمية أيام الموحدين بالمغرب والأندلس ، وكانت المعاهد الأندلسية فى إشبيلية وقرطبة وغرناطة وبلنسية ومرسية ، يومئذ مجمع العلوم والمعارف الرفيعة فى تلك العصور ، وكانت مقصد الطلاب من كل فج ، وكانت مزودة بالمكتبات التى تضم أنفس الكتب والمصنفات ، فى مختلف العلوم والفنون .

وعنى الموحدون أيضاً برعاية الفنون ، وأقيمت فى عهدهم فى معظم قواعد الأندلس ، طائفة من المساجد والأبنية الفخمة ، التى تمتاز بجمالها الفنى . وكان يعقوب المنصور حفيد عبدالمؤمن ، من أشدهم شغفاً بالمنشآت الفخمة ، ومن آثاره الشهيرة بالأندلس برج مسجد إشبيلية الضخم ، الذى كان يستعمل لرصد النجوم والذى سمى فيما بعد « بالجيرالدا » Giralda ، وهو مازال قائماً إلى اليوم .

---

(١) نفح الطيب ج ٢ ص ١٣٨ .

(٢) وقد نشر ضمن المكتبة الأندلسية فى مجلدين طبع مدريد فى سنة ١٨٨٣

وكذلك تقدمت الزراعة والصناعة والتجارة فى عهد الموحدين . وازدهرت الزراعة بنوع خاص . وارتقت أساليبها الفنية ، وتنوعت المحاصيل وانتشرت زراعة الفاكهة ، فى أحواز بلنسية وإشبيلية ، وتقدمت الصناعات الحربية والمدنية ، ولا سيما صناعة الأقمشة الممتازة ، والصناعات الجلدية ، وصناعة الورق وغيرها . وازدهرت التجارة وعم الرخاء . وكانت ثغور الأندلس مثل بلنسية ودانية وإشبيلية وألمرية ، من أعظم مراكز التجارة الخارجية فى هذا العصر .

ولما اضمحل شأن الموحدين ، وضعف أمرهم بالمغرب والأندلس ، فى أوائل القرن السابع الهجرى ، واجتاحت الثورة معظم القواعد والثغور الأندلسية . ونهض المتغلبون يتنافسون فى اجتناء أسلاب الدولة الذاهبة ، شعرت اسبانيا النصرانية بدنو الفرصة السانحة ، لاقتطاع ما يمكن اقتطاعه من أطراف الأندلس الممزقة ، وبدأت قواعد الأندلس التالدة ، تسقط تباعاً فى يد النصارى . وشغلت الأندلس بمحنتها الغامرة ، وانصرفت إلى متابعة الجهاد ، ومدافعة المغيرين عليها بكل ما وسعت ، فانكمشت فنون السلم ، وتضاءلت دولة التفكير والأدب ، وإن كانت المحنة قد أذكت لوعة الشعر ، وبعثت إلينا بطائفة جمة من أروع المراثى ، التى مازالت تحتفظ إلى يومنا بكثير من قوتها وروعتها .

— ٢ —

وانجلت الفتن الداخلية ، وانجلى الصراع بين اسبانيا المسلمة واسبانيا النصرانية بعد نحو ثلث قرن ، عن سقوط معظم القواعد الأندلسية التالدة ، مثل قرطبة وإشبيلية وبلنسية ، فى يد النصارى ، وانكمشت رقعة الأندلس تباعاً ، وانحصرت فى الركن الجنوبى الغربى للمملكة الإسلامية القديمة ، فى مملكة غرناطة الصغيرة ، التى برزت من نحر الفوضى ، واستقرت فى رقعتها المتواضعة ، بين نهر الوادى الكبير والبحر ، وهرعت إليها معظم الأسر الأندلسية القديمة ، التى أبت التدجن والبقاء فى ظل حكم النصارى ؛ ولم يمض سوى قليل ، حتى غدت مستودع تراث الأندلس القومى والسياسى ، ومستودع الحضارة الأندلسية والتفكير الأندلسى .

وكانت مملكة غرناطة ، بالرغم من صغرها وانكماش رقعتها ، تضم ثروات عظيمة من الموارد الطبيعية ؛ فالى جانب وديانها الخصبة النضرة ، توجد الجبال تخترقها

من كل صوب ، وبها الكثير من الثروات المعدنية ؛ وتفيض الأنهار والنهيرات العديدة على بسائطها الماء الغزير . وكانت ثغورها وهى ثغور الأندلس الجنوبية ، ولاسيما مالقة وألمرية ، من أغنى الثغور الإسبانية وأزخرها بالحركة التجارية . أما غرناطة عاصمة المملكة ، فقد غدت عقب سقوط القواعد الأندلسية الأخرى فى يد النصارى ؛ أعظم القواعد الأندلسية الباقية ، وأغناها وأكثرها ازدحاماً بالسكان . وكانت بحمرائها المطلة عليها من ربوتها المنيعة ، وشوارعها الزاخرة ، وميادينها الفسيحة ، وقصورها البديعة ، وحدائقها ومتنزهاتها اليانعة ، من أجمل مدن العصور الوسطى . وكانت غاية فى الحصانة ، سواء بموقعها الطبيعى ، أو بأسوارها الكثيفة ، التى يتخللها ألف وثلاثمائة برجاً منيعاً ، وكانت تضم فى أيامها الزاهرة من السكان مع أرباضها وضواحيها زهاء نصف مليون من الأنفس ، وذلك بما تقاطر عليها من سيل المهاجرين من المدن الأندلسية الأخرى . وكان بوسع العاصمة وقت الحرب ، أن تعبىء وحدها زهاء خمسين ألف مقاتل ، وكانت أبهاء قصر الحمراء تتسع وحدها لأربعين ألف رجل(١) .

وقد رأينا كيف نشأت مملكة غرناطة ، على يد رجل ذى عبقرية هادئة ولكن واسعة الأفق ، هو محمد بن الأحمر ، زعيم بنى نصر ، وكيف استمر أعقابه يتوارثون عرش غرناطة أكثر من قرنين ، حتى سقطت فى أيدى النصارى . وتسمى دولتهم بالدولة النصرية أو دولة بنى الأحمر ، وقد تسمى زعيمهم ومؤسس دولتهم بأمير المسلمين ، وهو اللقب الذى كان يتسم به ملوك العدوة فى تلك العصور ، وغلب هذا اللقب على سلاطين غرناطة حتى نهاية دولتهم .

وكان ملوك بنى نصر ، كسائر ملوك العصور الوسطى ، يدينون بمبدأ الحكم المطلق ، ولا يرون له بديلا . على أنه فى وقت الخطر العام والأحداث الخطيرة ، كان السلطان يستعين برأى الزعماء والقادة ذوى العصبية والتوجيه . وكان السلطان يستأثر بكل سلطة حقيقية ، ويباشر مهام الأمور بنفسه ، إلا فى فترات قليلة يستأثر بالسلطة فيها وزير قوى ، كما حدث فى عهد السلطان ابى عبد الله محمد الملقب بالمخلوع ( ٧٠١ — ٧٠٨ هـ ) ، حيث استأثر بالحكم وزيره أبو عبد الله ابن الحكيم

(١) Prescott. Ferdinand and Isabella; p. 189.

اللخمى . وعهد السلطان أبى عبد الله محمد بن إسماعيل ( ٧٢٥ — ٧٣٣ هـ ) ، حيث استبد بالحكم دونه وزيره ابن المحروق ، وعهد أخيه السلطان أبى الحجاج يوسف ( ٧٣٣ — ٧٥٥هـ ) حيث استبد بالحكم الحاجب أبو النعيم رضوان ، ثم فى عهد السلطان الغنى بالله ( ٧٥٥ — ٧٩٣هـ ) حيث استبد بالحكم حيناً وزيره ابن الخطيب. وكان نظام الطغيان الذى يفرضه الوزير المتغلب ، ينتهى فى كل مرة بانقلاب عنيف ، ويستعيد السلطان سلطته الحقيقية ، فى غمرة من الحوادث الدموية .

وكان هذا النظام المطلق الذى يسود حكومة غرناطة ، يؤدى إلى نشوب الثورة فى أحيان كثيرة ، ويذكى من عواملها فى الوقت نفسه ، تطاحن الأحزاب فى البلاط والجيش . وكان هذا النظام يتطور أحياناً فى ظل الملوك الضعاف إلى نوع من الإقطاع ، ويستأثر بعض الزعماء الأقوياء والأسر ذات العصبية ، بحكم المدن والثغور. وكان الشعب الغرناطى سريع التقلب والغضب ، يأخذ فى الثورات والإنقلابات السياسية بأعظم قسط .

وكانت مناصب الحكم الرئيسية فى حكومة غرناطة ، تنحصر فى الوزارة وقيادة الجيوش والقضاء . فأما الوزارة فكانت تسند غالباً إلى أحد الأعلام من رجال القلم ، وبين وزراء الدولة النصرية ثبت حافل من هؤلاء ، مثل ابن الحكيم اللخمى ، وابن الجياب ، وابن الخطيب ، وتلميذه ابن زمرك ، وكلهم من أقطاب الكتابة والشعر . وكان الوزير — وفى فترات نادرة يسمى الحاجب — يستعين بطائفة من « الكتاب » لتنفيذ مختلف المهام . وللسلطان كاتب سر أو أمين خاص . وكثيراً ما يرتقى « الكاتب » إلى منصب الوزير ، ويعتبر الوزير رأس الدولة التنفيذية الحقيقية ، وهو الذى يشرف سواء بطريقة مباشرة أو بتوجيه سلطانه القوى ، على تصريف شئون المملكة ، وتوجيه سياستها الداخلية والخارجية .

وأما قيادة الجيوش ، فكانت أهم المناصب فى دولة تواجه إغارة العدو على أراضيها باستمرار . وكان يختص بهذا المنصب الخطير ، منذ أواخر القرن السابع الهجرى أسرة بنى العلاء ، أحد بطون بنى مرين ملوك العدوة ، وكان توليهم لقيادة الجيوش الأندلسية ، نتيجة للتحالف التى توثقت أواصره بين بنى الأحمر وبنى مرين عصراً (١). وقد اشتهر أولئك القواد المغاربة بالبراعة والشجاعة ، وكانت لهم فى ميادين

---

(١) راجع نفح الطيب ج ٢ ص ٥٣٨ .

الحرب والجهاد مواقف مشهودة . وكان المتولى لمنصب القيادة العامة يلقب بشيخ الغزاة ، وكانت الجنود المغربية عنصراً بارزاً فى الجيش الأندلسى ، وقد تخلفت بالأندلس منذ أيام المرابطين والموحدين جموع كثيرة من البربر (١) ، وكانوا لبداوتهم وخشونتهم يؤثرون الحياة العسكرية على الحياة المدنية . وقد زاد عددهم بالأخص أيام عبور الجيوش المرينية إلى الأندلس . وبالرغم مما أداه القواد والجند المغاربة لمملكة غرناطة ، من الخدمات الجليلة فى ميدان الحرب ، فقد كانوا أحياناً خطراً على النظام والعرش ، وكان لبنى العلاء شيوخ الغزاة أطماع سياسية ، ظهرت خطورتها فى بعض الثورات والإنقلابات العنيفة .

وقد كانت قوة غرناطة العسكرية ، فى الواقع عماد حياتها ، التى استطالت أكثر من قرنين ، وذلك بالرغم من القوى الجرارة المعادية ، التى لبثت باستمرار ترهقها ، وتستنفد مواردها . وكان الجيش الأندلسى ، فضلا عما كان يزخر به من العناصر المجاهدة الباسلة ، من البربر وجند البشرات وغيرها ، من المناطق الجبلية ، يتمتع بكثير من المزايا البارزة ، فكان يضم فرقاً من أبرع الرماة ، وكان بالأخص يتفوق بفرق الفرسان ، التى اشتهرت فى تلك العصور ببراعتها التى لا تبارى . وإلى جانب ذلك كانت الطبيعة تحبو غرناطة برعايتها ، وتساعدها التلال المرتفعة والمناوز الوعرة ، التى تتخللها فى كل ناحية ، على شدة المقاومة ، واتقان حرب العصابات التى ترهق الجيوش المنظمة . وكانت القواعد الأندلسية ، من جراء الحروب المتواصلة ، قد حولت جميعها إلى قلاع منيعة ، وشيدت الحصون القوية فى كل مكان يصلح للمقاومة . وأهم من ذلك كله أن مسلمى الأندلس ، كانوا قد وقفوا فيما يبدو على سر البارود (٢) ، واستعملوه منذ منتصف القرن الرابع عشر ، حسبما فصلنا فى موضع سابق (٣) . وكان لذلك كله أثر واضح فى تمكين مملكة غرناطة الصغيرة ، من الوقوف فى وجه عدوها القوى بنجاح ، طيلة هذه العصور .

وكان للقوى البحرية ايضا شأنها ، فى كفاح الأندلس من أجل حياتها .

---

(١) راجع ص ٤٨ من هذا الكتاب .

(٢) Prescott; Ferdinam and Isabella p. 193-194

(٣) راجع ص ١٦٠ من هذا الكتاب .

وكانت مملكة غرناطة تسيطر من ثغورها الشهيرة : جبل طارق والجزيرة وطريف ومالقة ، على مدخل البحر الأبيض المتوسط ، وكانت أهم مهام الأسطول ، بعد حماية الشواطىء والثغور ، تأمين الصلة المباشرة بين مملكة غرناطة ، وبين اخوانها المسلمين فيما وراء البحر فى المغرب الأقصى ، وقد استطاعت الأساطيل الأندلسية والمغربية ، أن تحتفظ بسيادتها فى هذه المياه عصوراً ، وكان انهيار قوة غرناطة البحرية ، وسقوط ثغورها فى يد النصارى ، نذير السقوط النهائى .

وكان أرفع المناصب القضائية ، منصب قاضى الجماعة ، وهو ما يقابل فى الأندلس منصب قاضى القضاة فى مصر الإسلامية . وقاضى الجماعة هو أيضاً قاضى الحضرة وقاضى غرناطة ، والغالب أن يجمع فى نفس الوقت بين منصبه ومنصب خطيب الحمراء ، أو خطيب الجامع الأعظم (١) ، وهو أيضاً من المناصب الدينية الرفيعة . وكان القضاء يجرى فى مملكة غرناطة ، على مذهب الإمام مالك ، وهو مذهب الأندلس المفضل منذ القرن الثانى الهجرى . وكان يجرى تعيين قاضى الجماعة « بظهير » أى مرسوم ملكى . وكانت كلمة « الظهير » هى الغالبة فى مملكة غرناطة للتعبير عن المراسيم والقوانين السلطانية ، وهى مازالت تستعمل حتى اليوم فى المغرب الأقصى ، حيث يوصف المرسوم بأنه « ظهير ملكى » . وكان لكل مدينة قاضيها وخطيبها ، ولا يشغل مناصب القضاء سوى أكابر العلماء والفقهاء .

ويتبع القضاء وظيفة الحسبة وهى أيضاً وظيفة دينية ، تقوم على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ويختص صاحبها بمطاردة المنكرات ، والتعزير والتأديب على قدرها ، والعمل على احترام الأحكام الشرعية ، وقمع الغش والاختلاس فى المعاملات ، وأمور المعيشة والمكاييل والموازين ، وله أيضاً أن يحمل الناس على أداء المصالح العامة ، مثل تمهيد الطرقات والإضاءة بالليل وغير ذلك .

وكان يعهد بحفظ النظام والأمن إلى متولى الشرطة ، وكان يسمى أيام الدولة الأموية صاحب الشرطة ، ويعتبر منصبه من أعظم المناصب القضائية والإدارية ، وكان ينتخب عادة من كبار القواد أو الخاصة ، ويتمتع بسلطات قضائية وإدارية واسعة . ثم سمى بعد ذلك بصاحب المدينة وصاحب الليل . وكان يعتبر فى منصبه

---

(١) راجع نفح الطيب ج ٣ ص ٧٠ و ٧٤ و ١٩٧ .

تابعاً للوزارة ، مسئولا أمامها ، وكان جل اختصاصه أن يتولى حفظ النظام والأمن ، ومطاردة المجرمين وأهل الفساد . وتنفيذ العقوبات الجنائية ، من الحد والتعزير وغيرهما فيمن وجب عليه ذلك ، وهو الذى يتولى الإتهام والتحقيق وتوقيع العقوبة ، دون تدخل القاضى ، ويعاونه فى مهمته جماعات من الحراس ، تجوب أنحاء المدينة ليلا ، وتشرف على حراسة الطرق والأمكنة وتعقب الجناة (١) .

— ٣ —

وقد أشرنا فيما تقدم ، إلى ما كانت تتمتع به مملكة غرناطة ، بالرغم من انكماش رقعتها من الموارد والثروات الطبيعية الوفيرة . وكانت الزراعة منذ أيام الدولة الأندلسية الكبرى ، من أعظم موارد الأندلس ، وكانت وديان اسبانيا الخصبة ، التى تتخللها عدة من الأنهار العظيمة ، وتربتها البديعة ، وأقليمها المتقلب بين الحرارة والبرودة ، تفسح أعظم مجال لشعب عامل ذكى . وكان عرب الأندلس من أنبغ الشعوب ، فى فلاحة الأرض وتربية الماشية وغرس الحدائق ، وتنظيم طرق الرى ، ومعرفة أحوال الجو ، وكل ما يتعلق بفنون الزراعة وخواص النبات ، وكانت مزارعهم وحدائقهم مضرب الأمثال فى الجودة والنماء ؛ وقد نقل العرب من المشرق وشمال إفريقية إلى اسبانيا كثيراً من الأشجار والمحاصيل ، كالقطن والأرز وقصب السكر والزعفران والنخيل ، وكانت غياض القمح وغابات الزيتون ، وحدائق البرتقال والتوت والكروم ، من أبدع ما ترى العين فى وديان الأندلس ومروجها النضرة . وأما نبوغ عرب الأندلس فى تنظيم وسائل الرى والصرف ، واستجلاب الماء وتوزيعه بالطرق الفنية ، فما زالت تشهد به آثارهم الباقية إلى الآن ، فى وديان الأندلس ، من القناطر والجداول الدارسة . وقد أقيمت أيام الدولة الأموية عدة من القناطر الشهيرة ، وحفرت ترع ومصارف لاحصر لها ، فى مختلف أنحاء اسبانيا ، وكلها مما يشهد لصانعها بالمهارة والتفوق . وكان لأهل الأندلس شهرة خاصة فى غرس الحدائق وتنسيقها ، وقد كانت حدائق الرصافة والزهراء والزاهرة ، بدائع تشهد لهم بوفرة البراعة وحسن الذوق ، وكانت روعتها مستقى خصباً لخيال الشعراء والكتاب . وفى مكتبة الاسكوريال مؤلف فى الزراعة لأبى زكريا الإشبيلى ، يدل على مبلغ ما وصل إليه عرب الأندلس من

---

(١) ابن خلدون : المقدمة ج ١ ص ٢٠٩ و ٢١٠ ؛ ونفح الطيب ج ١ ص ١٠١ .

معرفة بخواص التربة ، واستخراج كنوز الأرض ، وطرق الرى والصرف ، وأحوال الطقس وغيرها .

وكانت مملكة غرناطة بالرغم مما يتخللها من الجبال والهضاب الوعرة ، تضم كثيراً من الوديان والبسائط الخصبة ، وكانت ضفاف شنيل سلسلة من البسائط الخضراء ، تتخللها مئات الترع والقنوات ؛ وكان المرج الشهير ، الواقع غربى غرناطة La Vega ، وهو الذى لبث أكثر من قرنين مسرحاً للمعارك المستمرة بين المسلمين والنصارى ، بحقوله وحدائقه النضرة ، كأنه قطعة من الجنان ، أودعها المسلمون كل براعتهم . وكانت المحاصيل المختلفة تتعاقب طول العام ، وتنتج البلاد كل ما يكفيها من الأطعمة والمؤن . وكانت مزارع الكروم الأندلسية الشهيرة ، تغطى مساحات واسعة فى غرناطة ومالقة وشريش .

وكذلك ضرب عرب الأندلس فى الصناعة بأوفر سهم . وكانت اسبانيا المسلمة أيام قوتها ، أعظم الأمم الصناعية فى أوربا ، وكانت ثرواتها المعدنية ؛ من الحديد والرصاص والزئبق والذهب والفضة وغيرها ، تمدها بأسباب التفوق فى هذا الميدان . وقد اشتهرت الأندلس بنوع خاص ، بصناعة الأسلحة الجيدة ، تنتجها بوفرة وتصدرها إلى أمم أوربا وإفريقية . وكذا اشتهرت بصناعة الصوف والحرير ، والأقمشة الملونة الممتازة ، وصناعة الجلود التى برع فيها أهل قرطبة بنوع خاص . وقد استطاعت مملكة غرناطة ، أن تستبقى كثيراً من الصناعات الأندلسية القديمة ، فاستمرت غرناطة مركزاً عظيما لصناعة الأسلحة والذخائر ، وكان تفوقها فى هذه الصناعة من أسباب قوتها ، وتمكنها طويلا من مدافعة أعدائها . وكذلك استمرت صناعة الحرير على تقدمها وازدهارها ، ولاسيما فى مالقة وألمرية ، وكانت يومئذ من أعظم موارد الأندلس . وقد نقلت المدن الإيطالية ، التى اشتهرت بصناعة الحرير فى العصور الوسطى ، عن الأندلسيين معظم فنونهم وطرائقهم فى هذه الصناعة المربحة ، وكانت مدينة فلورنس تستورد كميات كبيرة من الحرير الخام من غرناطة ، حتى أواخر القرن الخامس عشر (١) . ولبثت صناعة الخزف الجميل ، مزدهرة حتى العصر الأخير . وكذلك لبثت صناعة الجلود الفاخرة الملونة ، حتى نفى الموريسكيين ، وقد نقلت

---

(١) Prescott: Ferdinand and Isabella; p. 191

بعد نفيهم على يدهم إلى أوربا . واشتهرت الأندلس أيضاً بصناعة الورق . وقد اكتشف الغزيرى ، عدة مخطوطات بمكتبة الإسكوريال ، ترجع إلى القرن الحادى عشر ، كتبت على ورق مصنوع من القطن ، وأخرى ترجع إلى القرن الثانى عشر ، كتبت على ورق مصنوع من الكتان . وكان لهذه الصناعة مكانتها فى مملكة غرناطة.

أما التجارة فقد بلغت شأوا بعيداً فى الأندلس ، وذلك لحسن موقعها وكثرة ثغورها ، وتوسطها بين أوربا وإفريقية ، وانتظام صلاتها البحرية ، مع سائر ثغور البحر الأبيض المتوسط . وكانت علائقها التجارية تمتد حتى قسطنطينية ، وثغور الشأم والإسكندرية ، وترسو سفنها التجارية فى الثغور الإيطالية ، ولا سيما جنوة وروما والبندقية . وكانت ثغورها تزخر بمختلف الواردات ، من بلاد أوربا وإفريقية والمشرق . وازدهرت الحركة التجارية فى غرناطة ولا سيما التجارة الخارجية ، وكان للجنويين وغيرهم ، من الأمم ذات الصلات الإقتصادية الوثيقة بالأندلس ، منشآت تجارية فى غرناطة . وعقدت غرناطة مع جمهورية جنوه ومع مملكة أراجون معاهدات تجارية . وكانت خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر من أعظم المراكز التجارية فى جنوب أوربا ، حتى لقد وصفها بعض المؤرخين المعاصرين بأنها « مدينة جميع الأمم » . ويقول مؤرخ اسبانى « إن شهرة سكانها فى الأمانة والثقة ، بلغت إلى حد أن كلمتهم المجردة ، كان يعتمد عليها ، أكثر مما يعتمد على عقد مكتوب بيننا » (١) .

وكان الرخاء يسود مملكة غرناطة طوال أيامها ، وقلما كانت تصدع منه الثورات الطارئة أو الحروب المتواصلة . وكانت موارد الخزينة أو الموارد السلطانية كثيرة منوعة تتكون من ضريبة الأراضى المنزرعة وتبلغ فى المتوسط نحو سبع قيمة المحصول ، والأموال المرسومة على السفن الواردة والصادرة ، ودخل دار السكة ، ودخل بيت المال ، من زكاة وصدقات وميراث من لا وراث له ، وأخماس الغنائم التى كانت تحصل من العدو ، ومختلف الضرائب التجارية والمهنية . وكانت للعرش فوق ذلك أملاك ومزارع عظيمة فى فحص غرناطة ( المرج ) . وكانت الضرائب فى مملكة غرناطة على وجه العموم ، أكثر مما كانت عليه فى الدول الإسلامية السابقة

---

(١) Prescott ; ibid ; p. 190

وقد يرجع ذلك من بعض الوجوه إلى استمرار الصراع بلا انقطاع بينها وبين النصارى. وقدر دخل مملكة غرناطة فى تلك العصور ، بنحو مليون ومائتى ألف دوقة (١) ، وهى قيمة لايستهان بها فى ذلك العصر ؛ وكان يتولى الإشراف على شئون الدخل والخرج وأعمال الجباية موظف كبير يسمى « صاحب الأشغال » ، وكانت ثمة طوائف كبيرة من الشعب الغرناطى تتمتع بالثراء، ويقتنى الكثيرون الحلى والجواهر النفيسة ولاسيما أبناء الطبقات العليا . وكانت غرناطة تتمتع فوق ذلك بنقد سليم ثابت(٢)، يخرجه المضرب الملكى الذى اشتهر بأمانته ودقته ،ولا يتطرق إليه شىء من ذلك الزغل الذى كان فى أحيان كثيرة يؤدى إلى الانهيار المالى .

— ٤ —

وقد أشرنا فى بداية هذا الكتاب ، إلى تكوين الأمة الأندلسية فى مراحلها الأخيرة فى ظل مملكة غرناطة ، وإلى خصائصها العنصرية . والحقيقة أن المجتمع الأندلسى بمختلف عناصره الأصيلة والدخيلة ، كان قد استحال بمضى الزمن ، وتعاقب الحوادث والدول والمؤثرات الإجتماعية والإقليمية ، إلى أمة عربية إسلامية ذات طابع مستقل ومميزات خاصة ، تدعمها طائفة من الخلال البديعة ، وتصقلها حضارة رفيعة زاهرة . ثم قامت مملكة غرناطة التى اجتمعت فيها بقية الأمة الأندلسية لتعرض لنا خلال حياتها الطويلة ، المراحل الأخيرة لعظمة الأمة الأندلسية وحضارتها .

وقد وصف لنا ابن الخطيب ، أحوال المجتمع الأندلسى ، وخواصه الجنسية والعقلية والاجتماعية فى هذا العصر ، الذى مالت فيه شمس الأندلس إلى الأفول. فذكر لنا أن الشعب الأندلسى ، كان يتمتع بصفات أخلاقية طيبة ، وأن صورهم جميلة وأنوفهم معتدلة ، وألوانهم بيضاء ، وشعورهم سوداء ، وقدودهم متوسطة ، وألسنتهم عربية فصيحة ، تغلب عليها الإمالة ، وأنسابهم عربية ، وفيهم كثير من البربر والمهاجرين .

وكان نساؤهم يتميزن بالجمال والسحر ، واعتدال السمن ، ونعومة الجسم ، ورشاقة الحركة ، ونبل الكلام ، وحسن المجاورة ، ولكن يندر الطول فيهن . وقد بلغن

(١) الدوقة هى عملة ذهبية كانت ذائعة فى أوربا فى العصور الوسطى وتبلغ قيمتها نحو نصف جنيه من عملتنا الحديثة .

(٢) ابن الخطيب فى اللمحة البدرية ص ٢٩ .

فى التفنن فى الزينة والملبس شأوا بعيداً ، يسرفن فى الأصباغ والعطور ، والتزين بنفيس الحلى .

وكان اللباس الغالب بين الأندلسيين شتاء ، الملف(١) المصبوغ على اختلاف أصنافه وألوانه ؛ ويرتدون فى الصيف ، الكتان والحرير والقطن والأردية الإفريقية ، والمقاطع التونسية ، والمآزر المشفوعة « فتبصرهم فى المساجد أيام الجمع ، كأنهم الأزهار المفتحة ، فى البطاح الكريمة ، تحت الأهوية المعتدلة » .

ومما يجدر ذكره ، أن العمامة كانت يومئذ قد اختفت تقريباً كلباس رأس بين الشعب الأندلسى ، ولم يكن يلبسها سوى العلماء والقضاة . وقد حلت القلانس منذ عهد بعيد مكان العمائم . وكان أهل شرق الأندلس أسبق من غيرهم فى نبذ العمامة ، وذاعت القلانس بينهم منذ أوائل القرن السابع ، حتى كان أمراؤهم بل وشيوخهم وقضاتهم يلبسون القلانس ، وكان كثير من أمراء المسلمين مثل ابن مردنيش وغيره يرتدون الثياب القشتالية (٢). ولم يلبس ملوك بنى الأحمر العمامة ، بل فضلوا القلنسوة ( كاب ) واتخذوها لباساً حتى آخر دولتهم . وفى متحف جنة العريف بغرناطة ، صورة يقال إنها لأبى عبد الله آخر ملوك الأندلس ، وهى تصوره بقلنسوة عالية . وأما القضاة فقد احتفظوا بالعمامة كلباس رسمى . وتوجد بين الصور المنقوشة على جدران الحمراء صورة تمثل مجلس القضاة وهم بالعمائم والبرنس .

وكان الأمراء والأكابر ، وفريق كبير من أبناء الطبقات الميسورة ، يؤثرون ارتداء الثياب الإفرنجية ، اقتداء بجيرانهم النصارى ، ولا سيما فى عصور الأندلس الأخيرة . وأما ثياب الجندى الأندلسى فقد كانت فى العصور المتأخرة مشابهة لثياب الجند النصارى ، وكذلك عدتهم وسلاحهم ونظامهم فى الصفوف ، ثم عدلوا فى عصر ابن الخطيب عن هذا الزى ، إلى الجواشن المختصرة والبيضات المذهبة ، والسروج العربية . وكانت الجنود البربرية من جانبها ، تحافظ على زيها المغربى .

وكان أهل الأندلس مضرب الأمثال فى النظافة ، يبالغون فى العناية بنظافة أبدانهم وثيابهم ، ويكثرون من الاستحمام . وقد كانت هذه العادات فيما بعد ،

---

(١) نسيج من الصوف .

(٢) راجع ص ٥٧ و ١٥١ من هذا الكتاب .

حينما أكره المسلمون على التنصير ، من الشبه التى تثيرها ضدهم محاكم التحقيق ، للتدليل على تشبثهم بالإسلام ، وارتدادهم عن النصرانية .

وكان المجتمع الغرناطى يعيش فى رخاء وسعة ، تكثر لديه الأقوات فى الشتاء والصيف ، ولا سيما الفاكهة من العنب والتين والزبيب والتفاح والقسطل والجوز واللوز وغيرها ، ويدخرها الناس يابسة على كر الفصول ؛ ومتى حل الصيف ، هرع الناس إلى الفحوص ( المروج ) أعنى الضواحى ، للتمتع بجمال البسائط النضرة ، ونسيمها العليل (١) .

وكان احتفالهم بالأعياد أنيقاً ، ولكن فى حدود الإعتدال والاقتصاد . وكان الشعب الغرناطى يعشق مباهج الحياة والحفلات العامة ، وكانت الحياة لديه كأنها سلسلة من الأعياد المتواصلة . وكان الغناء ذائعاً ، ويكثر فى المنتديات والمقاهى العامة ، حيث يجتمع الشباب بكثرة ؛ ولم تنس غرناطة مرحها حتى فى أيام محنتها ، ولم تغلبها الكآبة إلا حينما أصبح العدو على الأبواب يهدد حياتها (٢) .

وقد استمرت الفروسة الأندلسية فى مملكة غرناطة على ازدهارها ، ولبثت عصوراً تجذب الأنظار باكتمالها وروعتها ورقة شمائلها . وفضلا عن كونها كانت عماد الدفاع القومى ، حسبما أشرنا من قبل ، فقد كانت مظاهرها وحفلاتها من أمتع المباهج العامة ، فى ميدان كان التسامح المؤثر يسود فيه علائق المسلمين والنصارى ، بالرغم مما كان يدور بين الفريقين من صراع مستمر . وقد اشتهر ملوك غرناطة ، فضلا عن الجود ، بميلهم نحو الحرية والتسامح ، فكان الأمراء المسلمون والنصارى يتبادلون الزيارات ، وكانوا يتلاقون أيام السلم وفى المفاوضات أنداداً كراما ؛ ومن أشهر مظاهر هذا التواصل ما حدث فى سنة ١٤٦٣ ، حيث سار هنرى الرابع ملك قشتالة إلى أراضى غرناطة ، وزار ملكها ابن إسماعيل ، والتقى الملكان فى مكان بقرب الفحص ( لاقيجا ) ضربت فيه خيمة ملكية أمام أبواب العاصمة ، ولما انتهت الزيارة وتبادل الفريقان الهدايا ، رافقت ملك النصارى كوكبة من الفرسان المسلمين ، وشيعته حتى الحدود . وكذلك كان الفرسان المسلمون والنصارى ، يتبادلون الزيارات ،

---

(١) راجع ابن الخطيب فى اللمحة البدرية ص ٢٧ — ٢٩ .

(٢) اللمحة البدرية ص ٢٨ ؛ وكذلك فى Prescott : Ferd. & Isabella, p. 192

وكثيراً ما كان الفرسان النصارى يقصدون إلى غرناطة ، لقضاء مصالحهم وتسوية منازعاتهم ، وكذا كان كثير من الأسر القشتالية النبيلة ، يلجأ إلى حماية ملك المسلمين كلما شعرت بالإضطهاد والحيف ، وكان فى مقدمة هؤلاء آل ڤيلا وآل كاسترو ؛ وكانت مباريات الفروسة وحفلاتها تتوالى فى غرناطة ، وفيها يبدى الفرسان المسلمون ضروباً رائعة من البراعة والرشاقة . وكان من أهم مميزات هذه الحفلات الشهيرة اختلاط الجنسين ، فكان نساء غرناطة ، البارعات فى الحسن والإناقة ، يشهدن هذه الحفلات وغيرها من الحفلات العامة سافرات ، ويسبغن بوجودهن عليها روعة وسحراً ، وكن يتمتعن فى الواقع بقسط وافر من الحرية الإجتماعية (١) .

(١) Prescott: Ferd. & Isab. 192

# الفصل الثاني

## الحركة الفكرية في مراحلها الأولى

الحركة الفكرية الأندلسية في أوائل القرن السابع • الشعر والأدب • ابن حريق • ابن مرج الكحل • ابن الجيان المرسي • ابن الأبار القضاعي • أبو البقاء الرندي • أقطاب اللغة • الفقه وعلوم الدين • المؤرخون • العلوم • بنو زهر • ابن البيطار المالقي • بنو الأحمر حماة العلوم والآداب • محمد الفقيه وولده المخلوع • السلطان أبو الحجاج • الأمير الأديب أبو الوليد اسماعيل • الوزراء الكتاب والشعراء • ازدهار الشعر والأدب • ركود الحركة العلمية • ابن الحكيم الرندي • حياته وشعره • ابن خميس التلمساني • أبو الجيان الغرناطي • الرئيس ابن الجياب • ابن جابر الضرير • أقطاب اللغة • علماء الفقه والدين • التصوف • المؤرخون والرحل • العلوم •

أتينا في الفصل السابق ، على لمحة من سير الحركة الفكرية ، في ظل الدولة الإسلامية بالأندلس ، حتى بداية القرن السابع الهجري ، أعني إلى ما قبل قيام مملكة غرناطة بقليل . ونريد الآن أن نتحدث عن سير العلوم والآداب والفنون ، في ظل مملكة غرناطة ذاتها . وسنحاول أن نتوسع في هذا الحديث قدر الإستطاعة ، وإن كانت المصادر العربية ، ضنينة في ذلك حسبما أشرنا ، أولا لهلاك معظم الآثار والوثائق الأندلسية المتعلقة بهذه المرحلة من تاريخ الأندلس ، وثانياً لأن كثيراً من المفكرين والكتاب المتأخرين ، الذين رأوا الوطن الأندلسي مشرفاً على السقوط في يد العدو ، بادروا بالهجرة إلى المغرب والبلاد الإسلامية الأخرى .

بيد أنه يجدر بنا قبل ذلك ، أن نعني بالفترة العصيبة المضطربة التي جازتها الأندلس ، في أواخر أيام الموحدين قبيل قيام مملكة غرناطة . وقد شهدت الأندلس في هذه الفترة ، أعني في أوائل القرن السابع الهجري ، سلسلة من الأحداث الجسام . ذلك أن سلطان الموحدين أخذ ينهار سراعا ، واضطرمت ثورة ابن هود في الولايات الشرقية ، وأخذت قواعد الأندلس الكبرى ، تسقط تباعاً في يد النصارى. واستطاع ابن الأحمر في الوقت نفسه ، أن ينشىء مملكة غرناطة في جنوبي الأندلس . وكان من جراء الفوضى السياسية التي عمرت الأندلس يومئذ ، أن تصدعت الحركة الأدبية

وشتت شملها . وفقدت وسيلة الإستقرار والتجمع ، وشغل الأدباء والمفكرون يومئذ بالمحنة وآثارها . وغادر الأندلس فى تلك الفترة ، كثير من الكتاب والعلماء الذين توقعوا سوء المصير ، وآثروا العمل فى جو أكثر استقرارا وطمأنينة ، مثل الشيخ محى العربى المرسى قطب التصوف الشهير ، وابن البيطار المالقى ، وابن الأبار القضاعى ، وابن حمدون الحميرى النحوى ، وابن سعيد الأندلسى ، وكثيرون غيرهم ، ممن رحلوا إلى المشرق أو عبروا البحر إلى المغرب .

وهكذا طلعت أوائل القرن السابع الهجرى ( الثالث عشر الميلادى ) على الأندلس ، بأحداثها وفتنها المتوالية ، والحركة الفكرية فى ربوعها حائرة غير مستقرة ، يتبدى ضوؤها باهتاً ، فى ظل دول وإمارات تتصدع أركانها تباعاً . ومع ذلك فقد ظل تراث الأندلس الفكرى فى هذه الفترة متواصلا ، يمتاز على اضطرابه بكثير من نواحى القوة والنضج ، التى امتاز بها فى ظل دولة الموحدين ، وقت أن كانت فى عنفوانها .

وسوف نستعرض فيما يلى أعلام التفكير والأدب فى تلك الفترة المضطربة ، التى مهدت حوادثها لقيام مملكة غرناطة ، فهى ليست فى الواقع سوى حلقة اتصال ، بين العصر الذى اختتمته الأندلس الكبرى ، وبين العصر الذى بدأت فيه حياتها الجديدة .

## الشعر والأدب

وكانت الحركة الأدبية يومئذ ماتزال فى عنفوانها . وكانت دولة النثر والنظم تحتل مكانتها الرفيعة ، بل لقد بعثت الأحداث والمحن ، التى توالت على الأندلس يومئذ ، إلى الشعر بكثير من أسباب الإنفعال والقوة . فامتلأت الأندلس يومئذ بالشعر المؤسى ، والمراثى القوية المؤثرة ، التى نقل المقرى إلينا كثيراً منها ، فى كتابيه نفح الطيب وأزهار الرياض .

وكان من أعلام الشعر فى تلك الفترة ، على بن محمد بن أحمد بن حريق الشاعر البلنسى المتوفى فى سنة ٦٢٢هـ ( ١٢٢٧م ) ، كان شاعراً مجيداً كثير النظم ، ذاع شعره فى الأندلس ، وكتب فوق ذلك عدة كتب فى الأدب(١) .

---

(١) ابن الأبار فى تكملة الصلة ( رقم ١٨٩٥ ) ، وصلة الصلة لأبى جعفر الزبير ص ١٢٩ .

ومنهم ابن مرج الكحل ، وهو أبو عبد الله محمد بن ادريس بن على ، أصله من جزيرة شقر ، وكان من أعظم شعراء عصره . وبرع بنوع خاص فى الغزل والشعر الوصفى المبتكر ، وعاش حيناً فى غرناطة ، وذاع صيته فى سائر نواحى الأندلس ، وتوفى سنة ٦٣٤ هـ ( ١٢٣٦م ) ومن شعر يصف عشة ، بنهر الفنداق الذى يمر بلوشة :

عرج بمنعرج الكثيب الأعفر ... بين الفرات وبين شط الكوثر
ولتغتبقها قهوة ذهبية ... من راحتى أحوى المراشف أحور
والروض بين مفضّض ومذهّب ... والزهر بين مدرهم ومدنر
والنهر مرقوم الأباطح والربا ... بمصندل من زهره ومعصفر
وكأنه وكأن خضرة شطه ... سيف يسيل على بساط أخضر
وكأن ذاك الحباب فرنده ... مهما طفا فى صفحه كالجوهر(١)

ومنهم عزيز بن عبد الملك القيسى ، كان من أهل مرسية واشترك فى حوادثها السياسية ، واستطاع أن يظفر بأمارتها لمدى قصير ، وتوفى سنة ٦٣٨هـ ( ١٢٤٠م ) قتيلا ، فى معركة نشبت بينه وبين خصومه ، وكان شاعر مجيداً ، ومن قوله عندما حلت به المحنة :

نصحت فلم أفلح وخانوا فأفلحوا ... فأعقبنى نصحى بدار هوان(٢)

ومنهم على بن ابراهيم بن على المعروف بابن الفخار ، أصله من شريش وكان من أعلام الكتابة والنظم وتولى القضاء حيناً ، وتوفى سنة ٦٤٢هـ (١٢٤٤م)(٣) .

ومنهم ابراهيم بن سهل الإشبيلى . وقد كان يهودياً ثم أسلم ، وبرع فى الشعر ولا سيما فى التوشيح ، ومن أبدع شعره قصيدة طويلة نظمها فى مدح النبى . وقد توفى غريقاً فى النهر ، وهو شاب فى عنفوانه ، وذلك سنة ٦٤٩ هـ ( ١٢٥١م ) . ومن شعره قوله :

مضى الوصل إلا منية تبعث الأسى ... أدارى بها همى إذا الليل عسعسا

---

(١) راجع نفح الطيب ج ٣ ص ٢٦ و ٢٧ و ٢٨ .
(٢) راجع صلة الصلة ص ١٦٥ ، وابن الأبار فى التكملة رقم ١٩٥٢ .
(٣) راجع صلة الصلة ص ١٣٥ ، والتكملة رقم ١٩٠٧ .

أتانى حديث الوصل زوراً على النوى أعد ذلك الزور اللذيذ المؤنسا
ويا أيها الشوق الذى جاء زائراً أصبت الأمانى خذ قلوباً وأنفسا

ومن موشحاته :

ليل الهوى يقظان والحب ترب السهر
والصبر لى خوان والنوم من عينى يرى(١)

ومنهم أبو عبد الله محمد بن الجيان المرسى ، صديق ابن هود وكاتبه . وكان عالماً بالحديث والرواية ، بارعاً فى النثر والنظم . تولى الوزارة حيناً لابن هود ، وهو الذى كتب عن لسانه وصيته الشهيرة لأخيه . ولما استولى النصارى على مرسية سنة ٦٤١هـ ، غادرها إلى أريولة ، ثم نزح إلى المغرب ، واستقر بمدينة بجاية ، وتوفى هنالك سنة ٦٥٠هـ ( ١٢٥٢م ) . وكان ابن الجيان صغير القد ، حتى ليخاله الناظر إليه طفلا ، ومن شعره قصيدته الدالية المشهورة التى مطلعها :

ياحادى الركب قف بالله ياحادى وارحم صبابة ذى نأى وإبعاد(٢)

ومنهم الكاتب الشاعر ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى بكر القضاعى البلنسى ، المعروف بابن الأبار . ولد سنة ٥٩٥هـ وبرز فى الفقه واللغة ، وبرع فى النثر والنظم ، وتولى الكتابة للأمير أبى جميل زيان أمير بلنسية ، حفيد ابن مردنيش . ولما حاصر النصارى بلنسية سنة ٦٣٦هـ ( ١٢٣٨م ) واشتد الخطب بالمسلمين ، أرسل أميرها زيان كاتبه ابن الأبار ، سفيراً إلى أبى زكريا الحفصى أمير تونس ، يستغيث به ويستنصره على العدو ، وألقى ابن الأبار بهذه المناسبة بين يدى أبى زكريا قصيدته السينية الشهيرة ، يردد فيها صريخ الأندلس ، ويصف آلامها ومحنها ، وهذا مطلعها :

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا إن السبيل إلى منجاتها درسا
وهب لها من عزيز النصر ما التمست فلم يزل عز النصر منك ملتمسا

وهى من غرر القصائد التى ذاعت بالأندلس أيام المحنة . ولما سقطت بلنسية بعد ذلك بقليل فى يد النصارى ، نزح ابن الأبار فى أهله إلى تونس ، وعاش

---

(١) راجع نفح الطيب ج ٤ ص ٣٠٤ .

(٢) راجع نفح الطيب ج ٤ ص ٤٣٢ وما بعدها ، حيث ينقل وصية ابن هود لأخيه ؛ وص ٤٤٠ وما بعدها حيث يذكر طائفة من نظم ابن الجيان .

هنالك حيناً فى كنف أميرها . ولكنه تغير عليه بعد ذلك ونكبه ، وتوفى قتيلا بتحريض خصومه وذلك فى سنة ٦٥٩هـ ( ١٢٦٠م ) . ولابن الأبار كثير من الشعر الجيد . ومن قوله فى الغزل

لم تدر ما خلدت عيناك فى خلدى ... من الغرام ولا ما كابدت كبدى
أفديك من رائد رام الدنو فلم ... يسطعه من فرق فى القلب متقد
خاف العيون فوافانى على عجل ... معطلا جيده إلا من الجيد

ومنه يصف نهراً :

ونهر كما ذابت سبائك فضة ... حكى بمجانيه انعطاف الأراقم
إذا الشفق استولى عليه احمراره ... تراءى قضيباً مثل دامى الصوارم

وكتب ابن الأبار فى الأدب والتاريخ . ومن آثاره تكملة كتاب الصلة لابن بشكوال ، ترجم فيها لأعيان أهل الأندلس وعلمائها وشعرائها . وله أيضاً كتاب الحلة السيراء ، ترجم فيها لطائفة مختارة من أعيان الأندلس من أمراء وكتاب وشعراء ، وهو قيم جداً بالنسبة لتاريخ الطوائف وتاريخ عصره (١) . وله مؤلفات أخرى مثل كتاب تحفة القادم ، وإيماض البرق ، وكتاب الأعتاب ، أوأعتاب الكتاب وغيرها ، وهى آثار وصل معظمها إلينا (٢) .

ومنهم أبو البقاء صالح بن شريف الرندى . وكان أديباً شاعراً جزلا . بيد أننا لانعرف كثيراً عن حياته ، ولا نعرف إلا أنه كان من أهل رندة كما يدل على ذلك لقبه . وقد عاش أبو البقاء حسبما رأينا فى بداية هذا الكتاب فى النصف الثانى من القرن السابع الهجرى ، وعاصر الفتنة التى تمخضت عن قيام مملكة غرناطة ، وسقوط معظم القواعد الأندلسية فى يد النصارى . وقال فى المحنة مرثيته الشهيرة التى أتينا على ذكرها فى موضعها ، والتى خلدت ذكره إلى يومنا . وقد وهم المقرى فاعتقد

---

(١) نشر كتاب التكملة فى مجلدين ضمن المكتبة الأندلسية ، ونشر كتاب الحلة السيراء بعناية المستشرق دوزى ( ليدن سنة ١٨٥١ ) .

(٢) راجع فى ترجمة ابن الأبار ، فوات الوفيات ج ٢ ص ٢٢٦ — ٢٢٧ ؛ ونفح الطيب ج ٢ ص ٥٧٨ — ٥٨٠ . هذا وتوجد نسخة خطه من كتاب تحفة القادم بمكتبة الاسكوريال ، ونسخة من كتاب أعتاب الكتاب بدار الكتب المصرية .

أنه قد عاش فى أواخر القرن التاسع الهجرى ، ووصفه بأنه خاتمة أدباء الأندلس حسبما أسلفنا (١) . ومن شعره فى الغزل والتصوف :

سلم على الحى بذات العرار ... وحى من أجل الحبيب الديار
وخل من لام على حبهم ... فما على العشاق فى الذل عار
ولا تقصر فى اغتنام المنى ... فما ليالى الأنس إلا قصار
وإنما العيش لمن رامه ... نفس تدارى وكؤوس تدار
وروحه الراح وريحانه ... فى طيبه بالوصل أو بالعقار (٢)

* * *

وظهر فى تلك الفترة جماعة من أقطاب اللغة ، مثل على بن محمد بن خروف الإشبيلى المتوفى سنة ٦٠٩هـ ( ١٢١٢م ) ، وقد طاف بقواعد الأندلس والمغرب ، وذاع صيته ، ووضع شرحاً لكتاب سيبويه (٣) ، وعمر بن محمد الأزدى الإشبيلى المعروف بالشلوبين ، وكان إماماً فى العربية وبرع فى النحو والفقه ، وتوفى سنة ٦٤٥هـ ( ١٢٤٧م ) (٤) .

وظهر جماعة فى الفقه وعلوم الدين ، مثل على بن أحمد بن محمد الغسانى ، من أهل وادى آش ، وقد ألف فى شرح « الموطأ » كتاباً ضخماً سماه « نهج السالك للتفقه فى مذهب مالك » ، ووضع شرحاً لكتاب مسلم ، وتوفى سنة ٦٠٩ هـ (١٢١٢) (٥) ، وعمر بن عبد المجيد بن عمر الأزدى الرندى المحدث ، المتوفى سنة ٦١٦ هـ ( ١٢١٨ م ) (٦) ، وقرينه ومواطنه المحدث المؤرخ عيسى بن سليمان الرعينى الرندى ، المتوفى سنة ٦٣٢ هـ ( ١٢٣٤م ) (٧) .

---

(١) راجع أزهار الرياض ج ١ ص ٤٧ ، ونفح الطيب ج ٢ ص ٥٩٥ .
(٢) تراجع القصيدة بأكملها فى نفح الطيب ج ٢ ص ٥٩٥ و ٥٩٦ .
(٣) راجع ترجمته فى صلة الصلة ص ١٢٢ .
(٤) « « « « ص ٧١ .
(٥) « « « « ص ١٢١
(٦) « « « « ص ٧١ .
(٧) راجع ترجمته فى صلة الصلة ص ٥١ .

ونبغ فى تلك الفترة بالذات ، أعظم متصوفة الأندلس الشيخ محى الدين أبو بكر الطائى المعروف بابن عربى ، وقد ولد بمرسية سنة ٥٦٠هـ ونزح إلى المشرق فى شبابه ، وحج وطاف بمعظم قواعده ، وبقى به حتى توفى سنة ٦٣٨هـ (١٢٤٠م) ، وله ثبت حافل من المصنفات الجليلة ، منها كتاب فصوص الحكم ، والفتوحات المكية ، والتدبيرات الإلهية ، وعشرات غيرها ، ذكرها صاحب فوات الوفيات ، وله شعر جيد (١) .

ونستطيع أن نذكر من المؤرخين فى تلك الفترة ، إلى جانب ابن الأبار القضاعى ، الذى سبقت ترجمته ، على بن موسى بن سعيد الأندلسى ، المعروف بابن سعيد المغربى ، وهو أديب ورحالة وسليل أسرة من الأدباء والمؤرخين ، تعاقب منها قبله خمسة فى مدى قرن ، على تصنيف مؤلف ضخم فى فضائل مدن الأندلس والمغرب والمشرق ، يضم كتابين كبيرين هما : كتاب « المشرق فى حلى المشرق » « والمغرب فى حلى المغرب » وأتمه على بن موسى آخر من نبغ من هذه الأسرة . وقد ولد فى غرناطة سنة ٦١٠هـ وتوفى بدمشق سنة ٦٧٣هـ ( ١٢٧٤م ) ، وطاف بقواعد الأندلس والمغرب والمشرق ، ومؤلفه الكبير أثر أدبى وتاريخى وجغرافى جليل بارع الأسلوب (٢) . وله كتب أخرى ذكر منها صاحب فوات الوفيات كتاب المرقص والمطرب ، وملوك الشعر . وله شعر رقيق .

## العلوم

وكان للعلوم أيضاً مجالها بالأندلس فى أوائل القرن السابع الهجرى ، وربما كانت هذه آخر مرحلة ازدهر فيها العلم الأندلسى ، واستطاع أن يحتفظ بقبس من تقاليده القديمة الراسخة .

وكان ممن ظهر فى تلك الحقبة ، أبو الفضل محمد بن عبد المنعم الجلياني ، الطبيب والشاعر الأديب ، أصله من جليانة من أعمال غرناطة ، ونبغ فى الطب

---

(١) راجع فى ترجمة ابن عربى ، فوات الوفيات ص ٢٤١ — ٢٤٣ .

(٢) راجع نفح الطيب ج ٢ ص ١٣٧ . وقد انتهت إلينا من هذا الأثر الضخم نسخة مشوهة ناقصة ، وهى محفوظة بدار الكتب المصرية رقم ٢٧١٢ تاريخ ، وراجع فوات الوفيات ج ٢ ص ٧٩ .

فى ظل الموحدين ، ثم رحل إلى المشرق ، وطاف بمصر والشأم ، ونظم كثيراً فى الإلهيات والرياضيات وآداب النفس (١) .

ومنهم أبو بكر بن عبد الملك بن زهر الإشبيلى ، سليل أسرة بنى زهر الشهيرة ، التى نبغ منها فى الطب والكيمياء والصيدلة ، أبو العلا بن زهر ، ثم ولده عبد الملك الذى سبقت الإشارة إليه ، ثم إبنه أبو بكر هذا ، وقد برع كأبيه وجده فى الطب والكيمياء ، وكان من أعظم أطباء الأندلس فى أوائل القرن السابع الهجرى .

ومنهم أبو العباس بن الرومية الإشبيلى الطبيب ، وقد اشتهر بالأندلس فى أواسط القرن السابع الهجرى ، وله كتاب فى الأدوية المفردة على نمط الكتب التى ألفها بنو زهر فى هذا الموضوع (٢) .

وكان من أعظم علماء الأندلس فى هذا العصر ، ابن البيطار المالقى العالم النباتى والطبيب المشهور ؛ وهو ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد ، ولد بمالقة فى أواخر القرن السادس الهجرى ، ودرس على ابى العباس النباتى ، ثم غادر الأندلس فى شبابه ، وطاف بأنحاء المغرب ، وقدم إلى مصر أيام الملك الكامل ، فدخل طبيباً فى خدمته ، ثم خدم ابنه الملك الصالح من بعده ، وعنى بدراسة النبات والأعشاب فى مصر والشأم وآسيا الصغرى وبلاد اليونان ، وألف فى ذلك كتابين : « كتاب الجامع فى الأدوية المفردة » تناول فيه الأدوية النباتية المعروفة فى عصره ، ورتبها على حروف المعجم ، وكتاب « المغنى فى الأدوية المفردة » ، وهو مرتب على مداواة الأعضاء ، وكتاب « الأفعال الغريبة والخواص العجيبة » ، ودرس عليه ابن أبى أصيبعة العالم المشهور ، وصاحب تراجم الأطباء ، وقد أشاد ببراعته وغزارة علمه ، ودقة فهمه لكتب الأقدمين . وتوفى ابن البيطار بدمشق سنة ٦٤٦هـ ( ١٢٤٨م ) (٣) .

وظهر فى هذا العصر علماء آخرون فى الرياضيات والفلك ، وكان منهم مطرف الإشبيلى ، وقد برع فى الفلك ، واشتغل بالتصنيف فيه ، وكان ينسب

---

(١) راجع نفح الطيب ج ٢ ص ١٦ ؛ وقد أورد المقرى شيئاً من شعره .

(٢) نفح الطيب ج ٢ ص ١٣٧ .

(٣) راجع فوات الوفيات ج ١ ص ٢٠٤ ؛ ونفح الطيب ج ٢ ص ٤٤ و ٤٥ .

إلى الزندقة بسبب اعتكافه فى هذا الشأن ، فكان يخفى تصانيفه ونتائج بحوثه عن أهل عصره (١) .

— ٢ —

وهكذا كانت الحركة الفكرية بالأندلس فى النصف الأول من القرن السابع الهجرى ، تحاول رغم اضطرابها أن تعمل على وصل ماضيها بحاضرها . فلما نهضت مملكة غرناطة من عمر الفوضى ، وبدأت الأندلس حياتها الجديدة فى ظل هذه المملكة الفتية الجديدة ، أخذت الحركة الفكرية فى الاستقرار ، وآنست جواً من الهدوء والطمأنينة . وكان ملوك غرناطة جريا على سنن ملوك الأندلس السالفين ، من حماة العلوم والآداب ، وكان بلاط غرناطة يسطع بتقاليده الأدبية الزاهرة ، كما سطعت من قبل قصور ملوك الطوائف ، وكان أمراء بنى الأحمر أنفسهم فى طليعة العلماء والأدباء . واشتهر عميدهم ومؤسس دولتهم محمد بن الأحمر ، بحمايته للعلم والأدب ، وكانت له أيام خاصة يستقبل فيها الشعراء وينشدونه قصائدهم (٢) . وكان ابنه محمد الفقيه عالماً ضليعاً ، يعشق مجالس العلم ويؤثر العلماء بعطفه ، ويقرض الشعر (٣) ، وكذا كان ولده أبو عبد الله محمد الملقب بالمخلوع ، عالماً شاعراً ينظم الشعر المستظرف ، وقد أورد لنا ابن الخطيب قصيدة من شعره يقول فيها :

واعدنى وعداً وقد أخلفا ... أقل شىء فى الملاح الوفا
وحال عن عهدى ولم يرعه ... ما ضره لو أنه أنصفا
ما بالها لم تتعطف على ... صب لها ما زال مستعطفا (٤)

وبلغت الحركة الفكرية والأدبية ذروة ازدهارها ، فى مملكة غرناطة ، فى عصر السلطان أبى الحجاج يوسف بن إسماعيل النصرى ( ٧٣٣ — ٧٥٥ هـ ) ، وولده السلطان محمد الغنى بالله ( ٧٥٥ — ٧٩٣ هـ ) . وكان السلطان أبو الحجاج نفسه ،

---

(١) راجع نفح الطيب ج ٢ ص ١٣٨ .
(٢) اللمحة البدرية ص ٣١ .
(٣) » » ص ٣٨ .
(٤) راجع هذه القصيدة فى اللمحة البدرية ص ٤٩ .

عالماً أديباً يشغف بالفنون . واشتهر الأمير أبو الوليد إسماعيل بن الساطان يوسف الثانى بأدبه وبارع نثره ، وهو صاحب كتاب « نثير الجمان » الذى يترجم فيه لأعلام عصره فى الشعر والأدب (١) .

وكان من بين وزراء الدولة النصرية وكتابها ، كثير من أعلام الشعر والأدب . ويكفى أن نذكر فى هذا المقام ابن الحكيم الرندى ، وابن الجياب ، وابن الخطيب ، وابن زمرك ، والشريف العقيلى خاتمة أدباء الأندلس ووزرائها ، وهم جميعاً من أقطاب الحركة الأدبية فى مملكة غرناطة ، ومن أعلام وزرائها وسادتها . وسنعود إلى التحدث عنهم فيما بعد .

ومما تجدر ملاحظته ، أن الحركة الفكرية الأندلسية فى ذلك العصر ، تكاد تنحصر فى النواحى الأدبية ، فقد ازدهر الأدب والشعر ، وحفلت غرناطة بجمهرة من أكابر الأدباء والشعراء ، ولكن العلوم العقلية أصابها الركود ، وقلما نجد فى هذه الفترة أحداً من أقطاب الطب والفلسفة أو العلوم الطبية ، أو غيرها من العلوم المحضة ، التى ازدهرت من قبل بالأندلس ، ونبغ فيها ثبت حافل من أكابر العلماء والفلاسفة . هذا بينما احتفظت الآداب فى مملكة غرناطة بروائها وازدهارها ، حتى اللحظة الأخيرة من حياتها .

وقد تقلبت الحركة الفكرية الأندلسية فى المائتين وخمسين عاماً التى عاشتها مملكة غرناطة ، فى أطوار ثلاثة : طور الفتوة ، وطور النضج ، وطور الإنحلال الأخير . وسوف نحاول أن نستعرض هذه الأطوار الثلاثة تباعاً ، ذاكرين أقطاب التفكير والأدب فى كل مرحلة منها .

٣ —

ويبدأ الطور الأول باستقرار مملكة غرناطة وتوطدها ، فى أواخر القرن السابع الهجرى وأوائل القرن الثامن .

وقد حفلت هذه الفترة التى بزغت فيها شمس الأندلس من جديد ، بجمهرة من الشعراء والأدباء والعلماء ، وازدهر الأدب ، واستعاد الشعر بنوع خاص ، كثيراً من روعته وروائه القديم .

---

(١) نفح الطيب ج ٣ ص ٤٠٤ ، وراجع أزهار الرياض ج ١ ص ١٨٦ .

وكان فى طليعة شعراء هذه الفترة ، الكاتب البليغ والأديب البارع ، الوزير ابن الحكيم وهو أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن ابراهيم بن يحيى اللخمى الرندى وأصلهم من بيوتات إشبيلية ، وكان جد والده يحيى طبيباً عرف بالحكيم ، وأسبغ لقبه على الأسرة . ولما اضطرمت الفتنة بالأندلس أيام الطوائف ، انتقلت الأسرة إلى رندة ؛ وولد ابن الحكيم برندة سنة ٦٦٠هـ ووفد على غرناطة فتى ، أيام السلطان أبى عبد الله محمد المعروف بالفقيه ، فولاه كتابته فى ديوان الإنشاء . ثم تقلد بعد وفاته الوزارة لولده السلطان أبى عبد الله المخلوع ، إلى جانب وزيره أبى سلطان عزيز الدانى . فلما توفى أبو سلطان انفرد ابن الحكيم بالوزارة ، ولقب بذى الوزارتين لجمعه بين الكتابة والوزارة . واستبد بالحكم حيناً حتى نشبت الثورة فى غرناطة ضد السلطان أبى عبد الله المخلوع وحكومته الطاغية ، وقتل فيها ابن الحكيم يوم عيد الفطر سنة ٧٠٨هـ ( ١٣٠٨م ) حسبما أسلفنا فى موضعه . وكان ابن الحكيم شاعراً مجيداً وكاتباً بليغاً وخطيباً ذلقاً ، وقد وصفه ابن الخطيب فى الإحاطة بقوله : « كان فريد دهره سماحة وبشاشة ولوذعية وانطباعاً ، رقيق الحاشية ، نافذ العزمة ، زار المشرق وحج ودرس وتلقى عن مشايخه » . ومن شعر ابن الحكيم قوله :

ما أحسن العقل وآثاره ... لو لازم الإنسان إيثاره
يصلون بالعقل الفتى نفسه ... كما يصون الحر أسراره
لا سيما إن كان فى غربة ... يحتاج أن يعرف مقداره

ومن قوله فى الغزل :

هل إلى رد عشيات الوصال ... سبب أم ذاك من ضرب المحال
وليال ما تبقى بعدها ... غير أشواقى إلى تلك الليال
إذ مجال الوصل فيها مسرحى ... ونعيمى آمر فيها ووال
ولحالات التراضى جولة ... مزجت بين قبول واقتبال
وغزال قد بدا لى وجهه ... فرأيت البدر فى حال الكمال
ما أمال التيه من أعطافه ... لم يكن إلا على خصل اعتدال
خص بالحسن فما أنت ترى ... بعده للناس حظاً فى الجمال

وقوله :

ألا واصل مواصلة العقار ودع عنك التخلق بالوقار
وقم واخلع عذارك فى غزال يحق لمثله خلع العذار
قضيب مائس من فوق دعص تعمم بالدجى فوق النهار
ولاح بخده ألف ولام فصار معرفا بين الدرارى[1]

وكان ولده أبو بكر محمد بن الحكيم أيضاً من أعلام الأدب والشعر فى تلك الفترة ، وقد تولى مثله الوزارة فيما بعد ، وكان من أساتذة ابن الخطيب ، وقد ألف فى الأدب كتاباً سماه « بالموارد المستعذبة »[2] .

ومن أكابر الشعراء فى تلك الفترة أبو عبد الله محمد بن خميس التلمسانى ، أصله من تلمسان كما يدل عليه اسمه . ووفد على غرناطة واتصل بالوزير ابن الحكيم ومدحه ، ونزل بألمرية سنة ٧٠٦هـ واتصل بحاكمها القائد أبى الحسن بن كماشة ، ومدحه فأجزل صلته ، ووصفه ابن خاتمة بأنه من فحول الشعراء وأعلام البلغاء ، وقد جمع شعره فى ديوان سمى « الدر النفيس فى شعر ابن خميس » . وكانت وفاته بألمرية سنة ٧٠٨هـ (١٣٠٨م) ، ويمتاز شعره بالجودة والروعة ، ومن نظمه قوله :

نظرت إليك بمثل عينى جؤذر وتبسمت عن مثل سمطى جوهر
عن ناصع كالدر أو كالبرق أو كالطلح أو كالاقحوان مؤشر
تجرى عليه من لماها نطفة بل خمرة لكنها لم تعصر
لو لم يكن خمراً سلافا ريقها تزرى وتلعب بالنهى لم تخطر

وقوله :

عجباً لها أيذوق طعم وصالها من ليس يأمل أن يمر ببالها
وأنا الفقير إلى تعلة ساعة منها وتمنعنى زكاة جمالها
كم ذا وعن عينى الكرى متأنف يبدو ويخفى فى خفى مطالها
يسمو لها بدر الدجى متضائلا كتضاؤل الحسناء فى اسمالها

---

(١) راجع فى ترجمة ابن الحكيم وشعره : نفح الطيب ج ٢ ص ٧ — ٩ ؛ و ج ٣ ص ٢٥٨ — ٢٦٣

(٢) راجع نفح الطيب ج ٣ ص ٢٦٣

ومنه :

أتت ولكن بعد طول غياب ... وفرط لجاج ضاع فيه شبابي
وما زلت والعليا تعنى غريمها ... أعلل نفسى دائماً بمثاب
وهيهات من بعد الشباب وشرخه ... يلذ طعامى أو يسوغ شرابى
خدعت بهذا العيش قبل بلائه ... كما يُخدع الصادى بلمع سراب(١)

ومنهم ابو حيان الغرناطى ، محمد بن يوسف بن على ، ولد بغرناطة سنة ٦٥٤هـ وطاف بالمشرق ، وتوفى بمصر سنة ٧٤٥هـ (١٣٤٤م) ، وكان فوق تضلعه فى الحديث والتفسير بارعاً فى اللغة والأدب ، إماماً فى النثر ، ونظم الموشحات ، وقد ترك مؤلفات كثيرة فى التفسير واللغة والأدب ، وله شعر كثير ومن نظمه قوله فى موشحة :

إن كان ليل داج . وخاننا الإصباح . فنورها الوهاج . يغنى عن المصباح

سلافة تبدو ... كالكوكب الأزهر
مزاجها شهد ... وعرفها عنبر
يا حبذا الورد ... منها وان سكر(٢)

وكان الرئيس أبوالحسن على بن الجياب ، وزير السلطان يوسف أبى الحجاج وكاتبه ، فى طليعة أقطاب النثر والنظم فى تلك الفترة ؛ ولد بغرناطة سنة ٦٧٣ هـ وبرع فى الشعر والأدب ، وتقلب فى مناصب الكتابة حتى غدا رئيساً لديوان الإنشاء ، وكان من معاونيه فى الكتابة أبوعبدالله بن الخطيب ، وقد ورث منصبه عقب وفاته ، وتوفى ابن الجياب ضمن ضحايا الوباء الكبير سنة ٧٤٩ هـ (١٣٤٨م) . ومن شعره قوله :

لله عصر الشباب عصرا ... فتح للخير كل باب
حفظت ما شئت فيه حفظاً ... كنت أراه بلا ذهاب
حتى إذا ما المشيب وافى ... ندّ ولكن بلا إياب

---

(١) راجع فى اخبار ابن خميس وشعره : نفح الطيب ج ٣ ص ١٨٤ — ١٩٤ ؛ وأزهار الرياض ج ٣ ص ٣٠٣ .

(٢) راجع ترجمته وشيئاً من شعره فى فوات الوفيات ج ٢ ص ٢٨٢ — ٢٨٥ .

ومنه فى الوعظ :

يا أيهـا الممسك البخيل إلهـك المنفق الكفيـل
أنفق وثق بالإله ترع فان إحسـانه جزيـل[1]

ومن شعراء ذلك العصر أبوعبدالله بن محمد بن جابر الأندلسى الهوارى الضرير ، وقد رحل إلى المشرق ، ومدح بعض أمرائه وقصد إلى سلطان ماردين فأجزل صلته ، وقد أشار ابن بطوطة الرحالة إلى ذلك عند ذكره فى رحلته لسلطان ماردين[2] ؛ ولإبن جابر موشحات كثيرة ومدائح جيدة فى الصحابة وآل البيت ، ومن شعره فى الغزل قوله :

شغفت بها حيناً من الدهر لم يكن سوى سكب دمعى فى محبتها كسبى
وما أصل هـذا كله غير نظرة إلى مقلة منهـا أصغت لها قلبى

ومنـه :

تجنت فجن فى الهوى كل عاقل رآهـا وأحـوال المحب جنون
وما وعدت إلا غلت فى مطالهـا كذلك وعـد الغانيات يكون

ومنه فى الحكم :

مهـلا فما شـيم الوفا منقادة لمـن ابتغى من نيلها أوطـارا
رتب المعـالى لا تنال بحيـلة يوماً ولو جهـد الفتى أوطارا

وقال يتشوق إلى حمراء غرناطة :

دامت على الحمراء حمر مدامعى والقلب فيما بين ذلك ذائب
طال المـدى بى عنهم ولربما قد عاد من بعد الإطالة غائب

* * *

وظهر من أقطاب اللغة فى تلك الفترة عدة ، منهم أبو بكر محمد بن ادريس الفرانى القضاعى المتوفى سنة ٧٠٧هـ ( ١٣٠٧م ) . وقد كتب فى علم العروض كتاب « الختام المفضوض عن خلاصة علم العروض » ومنه نسخة بمكتبة الاسكوريال[3] .

---

(١) راجع فى ترجمة ابن الجياب وشعره : نفح الطيب ج ٣ ص ٢٢٣ — ٢٢٩ .
(٢) نفح الطيب ج ٤ ص ٣٩٣ ؛ ورحلة ابن بطوطة ج ١ ص ١٥٠ .
(٣) المستشرق بروكلمان فى تاريخ الأدب العربى Geschichte der Arabischen Litteratur B. II. p. 259.

ومنهم أبو جعفر أحمد بن ابراهيم بن الزبير الحافظ النحوى شيخ ابن الخطيب الأب ، وقد ولد بجيان سنة ٦٢٧هـ وتوفى سنة ٧٠٨هـ (١٣٠٨م) . قال ابن الخطيب فى حقه : « انتهت إليه رياسة العربية بالأندلس » ؛ وكان عالماً بالقرآن والحديث ، مجيداً للنثر والنظم ، ولى القضاء بغرناطة ، واتصل بسلطانها الأمير أبى عبد الله محمد بن محمد بن الأحمر فأكرم مثواه ، وقد صنف كتباً عدة فى مختلف الفنون ، ومن آثاره المنشورة كتاب « صلة الصلة » الذى ألفه ذيلا على كتاب الصلة لابن بشكوال[1] .

ومنهم أبو الحسن على بن يحيى الفزارى المالقى المعروف بابن البرزى المتوفى سنة ٧٥٠هـ (١٣٤٩م) ، وكان بارعاً فى اللغة ، وله شعر يصفه ابن الخطيب بالضعف والهزال .

ومنهم أبو عبد الله محمد بن على الفخار الإلبيرى ، كان شيخ النحاة بالأندلس فى عصره ؛ درس عليه الكثيرون ومنهم ابن الخطيب وابن زمرك ، وكانت وفاته بغرناطة سنة ٧٥٤هـ ( ١٣٥٣م ) [2] .

ونبغ من علماء الدين والفقه فى تلك الفترة ، القاسم بن عبد الله بن الشط الأنصارى الإشبيلى ، المتوفى سنة ٧٢٥هـ ( ١٣٢٣م ) وله كتاب « البرنامج » عن قصاة الأندلس [3] وأبو القاسم أبو عبد الله بن جزى الكلبى الغرناطى ، وقد ولد سنة ٦٩٣ ، وتولى الخطابة بغرناطة ، وتوفى قتيلا فى سنة ٧٤١هـ ( ١٣٤٠م ) فى موقعة طريف ، ومن مؤلفاته كتاب « التسهيل لعلوم التنزيل » والأنوار السنية فى الألفاظ السنية » [4] .

وازدهر التصوف فى هذا العصر ، وكان من أقطابه يومئذ أبو الحسن على ابن فرحون القرشى القرطبى ، المتوفى سنة ٧٥١هـ ( ١٣٤٥م ) ، وأبو اسحاق ابراهيم ابن يحيى الأنصارى المرسى ، وقد ولد فى سنة ٦٨٧ هـ وتوفى بغرناطة سنة ٧٥١ هـ

---

(١) راجع فى ترجمة ابن الزبير ، كتاب صلة الصلة المنشور بعناية الأستاذ ليفى بروفنسال فى المقدمة ص ، و — ح

(٢) نفح الطيب ج ٣ ص ١٨٢ و ١٩٦ .

(٣) بروكلمان ، المصدر السابق ج ٢ ص ٢٦٤ .

(٤) « « « ج ٢ ص ٢٦٥ .

( ١٣٥٠م ) . وله كتاب « زهرة الأكمام » فى قصة يوسف . وأبو عبد الله محمد ابن محمد الأنصارى المالقى المولود سنة ٦٤٩هـ ) ، والمتوفى سنة ٧٥٤هـ (١٣٥٣م) ، وله كتاب « بغية السالك فى أشرف المسالك » فى مراتب الصوفية وطرائق المريدين[١].

وظهر من المؤرخين محمد بن يحيى بن أبى بكر بن سعيد الأنصارى المالكى . وقد ولد سنة ٦٧٤هـ ، وتولى الخطابة والقضاء بغرناطة ، وتوفى قتيلا فى سنة ٧٤١ هـ فى موقعة طريف. ومن آثاره كتاب « التمهيد والبيان فى مقتل الشهيد عثمان بن عفان »[٢].

ومن الرحل والرواة ، أبو البقاء خالد بن عيسى البلوى ، وقد رحل إلى افريقية والمشرق بين سنتى ٧٣٦ — ٧٤٠ هـ ، وكتب عن رحلته كتاب « تاج المفرق فى تحلية علماء المشرق » وانتفع فى مؤلفه بما كتبه ابن جبير عن المشرق [٣] .

وأما العلوم فلم تزدهر مثل إزدهارها فى الماضى ، ولم تشغل فى الحركة الفكرية سوى مجال محدود . وكان من أشهر علماء ذلك العصر يحيى بن هذيل حكيم غرناطة وفليسوفها ، وقد برع فى الطب والفلسفة والعلوم والرياضة ، وكان من شيوخ ابن الخطيب [٤] . ونستطيع أن نضع فى العلماء المعاصرين أيضاً شيخه أبا عثمان سعد بن أحمد بن ليون التجيبى ، وكان من أكابر الأئمة فى الفقه ، واختصر عدة من أمهات الكتب مثل كتاب « بهجة المجالس » لابن عبد البر . وكتب كتباً فى الهندسة والفلاحة [٥] .

---

(١) بروكلمان ، المصدر السابق ج ٢ ص ٢٦٥ .

(٢) « « « ج ٢ ص ٢٦٦ ، وتوجد من هذا الكتاب نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية .

(٣) بروكلمان ، المصدر السابق ج ٢ ص ٢٦٦ ، وتوجد من كتابه نسخة خطية بدار الكتب .

(٤) راجع نفح الطيب ج ٣ ص ٥٢ .

(٥) « « « ج ٣ ص ٣٠٢ .

# الفصل الثالث

## عهد النضج والازدهار

تقدم الحركة الفكرية • ابن سلبطور الشاعر • أبو القاسم الحسيني • ابن خاتمة • ابن الخطيب • نشأته وحياته • سفارته الى المغرب وقصيدته للسلطان • وصفه لحياته فى الوزارة • سقوطه وجوازه الى المغرب • احتفاء السلطان به وانشاده فى حضرته • ابن الخطيب وابن خلدون • ما قاله الأمير ابن الأحمر فى تقدير ابن الخطيب • تهنئته للسلطان • عوده الى الأندلس والى تولى الوزارة • وصفه لجهوده يومئذ • ما ينسب اليه من طغيان • فقده لحظوته وجوازه الى المغرب • كيد خصومه له • اتهامه بالزندقة • تطور الحوادث فى المغرب • تفاهم بلاط غرناطة مع سلطان المغرب على الايقاع به • الوزير ابن زمرك يلاحقه فى فاس • اتهامه ومصرعه • مؤلفاته وآثاره • أثره فى تطور الحركة الأدبية • ابن زمرك تلميذ ابن الخطيب • نشأته وحياته • مكانته الأدبية • نماذج من شعره وموشحاته • الموازنة بينه وبين ابن الخطيب • بقية الشعراء والأدباء فى تلك الفترة • الفقهاء • المؤرخون •

شهدت الحركة الفكرية الأندلسية فى مملكة غرناطة ، مرحلة النضج فى أواسط القرن الثامن الهجرى وأواخره ، وشهدت فى النصف الأخير من هذا القرن ، ذروة قوتها وازدهارها . ولا غرو فهذه الفترة هى التى سطع فيها ابن الخطيب ، أعظم مفكرى الأندلس وأعظم كتابها وشعرائها فى ذلك العصر . وامتازت هذه الفترة ، بروعة إنتاجها الأدبى فى النثر والنظم ؛ وربما كان للأحداث والفتن الداخلية الخطيرة التى جازتها الأندلس يومئذ ، أكبر أثر فى تغذية هذه الحركة الممتازة ، وإمدادها بمختلف الإنفعالات القوية ، التى طبعت إنتاجها .

وقد بدأت هذه الحركة فى عصر السلطان أبى الحجاج يوسف بن اسماعيل ، أعظم سلاطين بنى نصر ( ٧٣٣ — ٧٥٥هـ ) ، وأشدهم حماسة فى تعضيد الآداب والفنون ، واستمرت من بعده طوال القرن الثامن الهجرى ، وحفلت بعدد كبير من الأدباء والشعراء الممتازين . وقد استعرضنا الكثير منهم فيما تقدم ، حتى منتصف القرن الثامن ، وسنمضى هنا فى استعراض بقية هذا الثبت الحافل حتى أواخر هذا القرن .

كان من أكابر الشعراء فى بداية هذه الفترة ، ابن سلبطور شاعر ألمرية . وهو أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن سلبطور الهاشمى ، والظاهر أنه قد يرجع إلى أصل نصرانى . كما يدلى بذلك اسمه سلبطور ( سلفاتور ) . نشأ بالمرية ، وبرع فى الأدب ، وتدرب منذ فتوته على ركوب البحر وقيادة السفن ، وناب فى قيادة الأسطول عن خاله القائد أبى على الرنداحى ، واشتهر برائق نظمه . وفى أواخر حياته انحرف عن جادة الصواب ، وانكب على ملاذه وشهواته ، وأضاع كل ثروته . حتى ساءت حالته ، وانحدر إلى هاوية الفقر والبؤس ، فعبر البحر إلى العدوة ، وتوفى بمراكش سنة ٧٥٥هـ ( ١٣٥٤ م ) . ومن شعره يمتدح السلطان حين حل بالمرية :

أثغرك أم سمط من الدر ينظم ... وريقك أم مسك من الراح تختم
ووجهك أم باد من الصبح نير ... وفرعك أم داج من الليل مظلم
أعلل منك الوجد والليل ملتقى ... وهل ينفع التعليل والخطب مؤلم
وأقنع من طيف الخيال بزورة ... لو أن جفونى بالمنام تنعم[1]

ومنهم أبو عبد الله محمد بن جُزى ، الكاتب الشاعر ، ولد بغرناطة سنة ٧٢١هـ ، وانتظم منذ فتوته بين كتاب السلطان أبى الحجاج يوسف ، وحظى لديه ومدحه بطائفة من القصائد الرنانة ، ثم غضب عليه ونكبه ، فغادر الأندلس إلى العدوة ، ودخل فى خدمة السلطان أبى عنان المرينى ومدحه ، وكان بارعاً فى النثر والنظم ؛ ذكره ابن الأحمر فى «نثير الجمان» وأشاد بمقدرته ، ووصفه بأنه أعظم شاعر فى عصره . وكانت وفاته بمراكش سنة ٧٥٧ هـ ( ١٣٥٦ م )[2] . وهو الذى أنشأ رحلة ابن بطوطة من مذكرات صاحبها حسبما ينوه بذلك فى خاتمة الكتاب[3].

ومنهم قاضى الجماعة ، أبو القاسم محمد بن أحمد الشريف الحسينى ؛ ولد سنة ٦٩٧هـ ، وتوفى بغرناطة سنة ٧٦٠هـ ( ١٣٥٨م ) ، ولى رياسة القضاء ، وكان

---

(١) نفح الطيب (عن الاحاطة ) ج ٣ ص ٤٥٠ .

(٢) راجع نفح الطيب ج ٣ ص ٢٨٤ ومابعدها ؛ وأزهار الرياض ج ٢ ص ١٨٩ وما بعدها ، وفيه يورد بعض شعره .

(٣) أزهار الرياض ج ٢ ص ١٩٥ ؛ ورحلة ابن بطوطة .

فوق تضلعه فى الحديث والفقه ، شاعراً مجيداً ، وكتب فى العروض والأدب ، وجمع شعره فى ديوان أسماه « جهد المقل »[١] .

ومنهم أبو جعفر أحمد بن على بن محمد بن خاتمة الانصارى ؛ ولد بألمرية سنة ٧٢٤ هـ . وتوفى سنة ٧٧٠ هـ ( ١٣٦٩م ) . وكان أديباً وشاعراً مبرزاً . وصفه ابن الخطيب بأنه « الصدر المتفنن ، المشارك القوى الإدراك ، السديد النظر ، الثاقب الذهن ، الجيد القريحة » . وكتب عن مسقط رأسه ألمرية ، كتاباً أسماه « مزية ألمرية على غيرها من البلاد الأندلسية» . وله ديوان شعر محفوظ بمكتبة الاسكوريال . ومن شعره قوله :

هو الدهر لايبقى على عائذ به ... فمن شاء عيشاً يصطبر لنوائبه
فمن لم يصب فى نفسه فصابه ... بفوت أمانيه وفقد حبائبه

وكتب ابن خاتمة إلى صديقه ابن الخطيب ، حينما أزمع الرحلة عن الأندلس ، رسالة مؤثرة يخاطبه فيها بقوله : « انكم بهذه الجزيرة شمس أفقها ، وتاج مفرقها ، وواسطة سلكها ، وطراز ملكها ، وتمام زينتها ، ثم أنتم مدار أفلاكها ، وسر سياسة أملاكها ، وترجمان بيانها ، ولسان إحسانها ، والذى عليه عقد إدارتها ، وبه قوام إمارتها »[٢]

— ٢ —

نعرض بعد ذلك ، إلى ألمع فترة فى الحركة الفكرية ، فى ظل مملكة غرناطة ، وهى الحركة التى كان قطبها ومحورها ، أعظم مفكرى الأندلس وأعظم شعرائها وكتابها ، فى القرن الثامن الهجرى ، ونعنى لسان الدين بن الخطيب .

وقد أشرنا فيما تقدم إلى نشأة ابن الخطيب ، واستعرضنا طرفاً من حياته السياسية ، ونزيد هنا أن نبسط القول فى حياته الفكرية والأدبية .

وهو لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن الخطيب ؛ ولد فى لوشه من أعمال غرناطة ، فى بيت من أكرم بيوت الأندلس فى شهر رجب

---

(١) راجع نفح الطيب ج ٣ ص ١٠٧ .

(٢) راجع نفح الطيب ج ٣ ص ١٨٤ و ٤١١ وما بعدها ؛ وكذلك بروكلمان ، المصدر السابق ج ٢ ص ٢٥٩ .

سنة ٧١٣هـ ( ١٣١٣م ) ، ثم انتقل بيتهم من لوشة إلى غرناطة ، وخدم أبوه عبد الله في القصر والخاص في عهد السلطان يوسف أبي الحجاج . وتلقى ابن الخطيب دراسة حسنة ، ودرس الطب والفلسفة والشريعة والأدب ، وبرز في النثر والنظم منذ حداثته ، ولما توفي أبوه في سنة ٧٤١هـ حل مكانه في خدمة القصر ، وهو فتى في عنفوانه ، وتولى أمانة السر للوزير أبي الحسن بن الجياب ، وزير السلطان يوسف . ولما توفي ابن الجياب في الوباء الكبير سنة ٧٤٩هـ ، خلفه في الوزارة والكتابة ، إلى جانب كبير الوزراء الحاجب أبي النعيم رضوان ، وندبه السلطان لبعض السفارات والمهام السياسية . ولما توفي السلطان أبو الحجاج يوسف ( ٧٥٥هـ ) ، وخلفه ولده محمد الغني بالله ، استمر الحاجب رضوان في الاضطلاع برياسة الوزارة ، واستمر ابن الخطيب إلى جانبه في منصبه ، وندب للوصاية على الأمراء القصر ، وأرسله السلطان لأول ولايته ( أواخر سنة ٧٥٥هـ ) سفيراً إلى السلطان أبي عنان سلطان المغرب ، على رأس وفد من وزراء الأندلس ، يستنصره ويستغيث به على مقاومة طاغية قشتالة . وأنشد ابن الخطيب بين يدي السلطان قصيدة يقول فيها :

خليفة الله ساعدَ القدرُ ... عُلاك ما لاح في الدجى قمرُ
ودافعت عنك كف قدرته ... ما ليس يستطيع دفعه البشرُ
وجهك في النائبات بدر دجى ... لنا وفي المحل كفك المطرُ
والناس طرا بأرض أندلس ... لولاك ما أوطنوا ولا عمروا
وجملة الأمر أنه وطن ... في غير عليائك ماله وطر

فاهتز السلطان لقصيدته ، ووعدهم باجابة ملتمسهم وتحقيق رغباتهم (١) .

ثم وقعت الثورة في غرناطة سنة ٧٦١هـ ( ١٣٥٦م ) ، وقتل الحاجب رضوان ، وأقصي الغني بالله عن الملك ، وفر إلى وادي آش ، وخلفه على العرش أخوه إسماعيل ، وولى ابن الخطيب الوزارة للملك الجديد حيناً ، ولكن سرعان ما غضب عليه وأمر باعتقاله . ويصف لنا ابن الخطيب في ترجمته لنفسه ، في كتاب الإحاطة ، هذه المراحل الأولى من حياته العامة في قوله : «فقلدني السلطان سره ( يريد أبا الحجاج ) ولما يستكمل الشباب ، واستعملني في السفارة إلى الملوك ، واستنابني بدار ملكه ،

---

(١) راجع نفح الطيب ج ٣ ص ٥٢ ؛ وابن خلدون ج ٧ ص ٣٣٣

ورمي إلى بخاتمه وسيفه ، وائتمنني على صون حضرته وبيت ماله ، وسجوف حرمه ، ومعقل أمتاعه . ولما هلك السلطان ، ضاعف ولده حظوتي ، وأعلى مجلسي ، وقصر المشورة على نصحي ، إلى أن كانت الكائنة ، فاقتدى في أخوه المتغلب على الأمر ، فسجل الاختصاص وعقد القلادة ، ثم حمله أهل الشحناء من أعوان ثورته ، على القبض على ، فكان ذلك » .

وتدخل السلطان أبو سالم ملك المغرب ، في شأن السلطان المخلوع الغني بالله ، وكانت تربطه به مودة وصداقة ، مذ كان أيام محنته يلوذ بحمايته بغرناطة ، وأرسل إلى ملك غرناطة الجديد سفيراً يطلب إجازة الغني بالله ووزيره المعتقل إلى المغرب ، فأجابه السلطان إسماعيل إلى مطلبه ، وجاز الغني بالله وابن الخطيب إلى المغرب ( المحرم سنة ٧٦١هـ ) ، واستقبلهما السلطان أبو سالم في فاس بترحاب ، واحتفل بقدومهما في يوم مشهود ، وأنشده ابن الخطيب يومئذ قصيدته المشهورة ، التي يدعوه فيها لنصرة سلطانه وهذا مطلعها :

سلا هل لديها من مخبرة ذكر ... وهل أعشب الوادي ونم به الزهر
وهل باكر الوسمي داراً على اللوى ... عفت آيها إلا التوهم والذكر
بلادي التي عاطيت مشمولة الهوى ... بأكنافها والعيش فينان مخضر
وجوى الذي ربى جناحي وكره ... فها أنا ذا مالي جناح ولا وكر

ومنها :

قصدناك ياخير الملوك على النوى ... لتنصفنا مما جنى عبدك الدهر
كففنا بك الأيام عن غلوائها ... وقد رابنا منها التعسف والكبر
وعذنا بذاك المجد فانصرم الردى ... ولذنا بذاك العزم فانهزم الشر
ولما أتينا البحر نرهب موجه ... ذكرنا نداك الغمر فاحتقر البحر

ومنها :

وأنت الذي تدعى إذا دهم الردى ... وأنت الذي ترجى إذا أخلف القطر
ومثلك من يرعى الدخيل ومن دعا ... بيا لمرين جاءه العز والنصر
وخذ يا إمام الحق بالحق ثأره ... ففي ضمن ماتأتي به العز والأجر[1]

---

(١) تراجع هذه القصيدة بأكملها في نفح الطيب ج ٣ ص ٤٠ — ٤٧

وكان لإنشاد ابن الخطيب فى السامعين أعظم وقع . ويقول لنا ابن خلدون وقد كان من شهود ذلك الحفل ، إن ابن الخطيب أبكى سامعيه تأثراً وأسى . وكان هذا أول لقاء بين هذين المفكرين العظيمين ، اللذين تجمع بينهما مشابهات عدة ، فقد كان كلاهما أستاذ عصره فى التفكير والكتابة ، وقد خاض كلاهما نفس الحياة السياسية المضطربة ، وأخذ بقسط بارز فى حوادث عصره ، وفى توجيه شئونه ؛ وكان ابن خلدون يشغل فى دول المغرب ، نفس المركز الذى يشغله ابن الخطيب بالأندلس ، وقد استأثر فى المغرب بزعامة التفكير والكتابة ، التى يستأثر بها ابن الخطيب بالأندلس . وتوثقت بين المفكرين العظيمين مدى حين ، أواصر المودة والصداقة ، ثم فرقت بينهما عوامل الغيرة والتنافس ، حينما عبر ابن خلدون بعد ذلك إلى الأندلس ، واتصل بسلطانها الغنى بالله ؛ وكان كل منهما يقدر صاحبه ويجل مواهبه ، وقد ترجم كلاهما صاحبه بما ينم عن هذا التقدير والإجلال ، فيقول لنا ابن خلدون مثلا فى ترجمته لابن الخطيب إنه « بلغ فى الشعر والترسل حيث لايجارى فيهما ، وملأ الدولة بمدايحه ، وانتشرت فى الآفاق قدماه » . ثم ينوه بعد ذلك برفعة رسائله السلطانية ، وبراعته فى الإدارة والحكم (١) .

ويصف لنا الأمير أبو الوليد اسماعيل بن الأحمر ، معاصر ابن الخطيب ، خلاله ومواهبه فى تلك العبارات الرنانة :

« هو شاعر الدنيا ، وعلم الفرد والثنيا ، وكاتب الأرض إلى يوم العرض ، لايدافع مدحه فى الكتب ، ولا يجنح فيه إلى العتب ، آخر من تقدم فى الماضى ، وهو نفيس العدوتين ورئيس الدولتين ، بالاطلاع على العلوم العقلية ، والإمتاع بالفهوم النقلية » . ثم يشير بعد ذلك إلى قسوته فى الهجاء ، وإلى كونه قد هجا ابن عمه سلطان الأندلس بما لايليق ويجمل (٢) .

وتجول ابن الخطيب حيناً بالمغرب ، واستقر بسلا ، وتوالت مدائحه للسلطان أبى سالم ، ومنها قصيدة طويلة يهنئ فيها السلطان بفتح تلمسان (٧٦١هـ) هذا مطلعها :

---

(١) كتاب العبر ج ٧ ص ٣٣٢ وما بعدها ؛ وراجع كتابى ابن خلدون ص ٣٦ — ٣٩ ؛ وقد أورد المقرى هذه القصيدة كاملة فى أزهار الرياض (ج ١ ص ١٦٩ وما بعدها ) .

(٢) راجع نفح الطيب ج ٣ ص ٤٠٤ و ٤٠٥ .

أطاع لسانى فى مديحك إحسانى ... وقد لهجت نفسى بفتح تلمسان
فأطلعتها تفتر عن شنب المنى ... وتسفر عن وجه من السعد جيانى
كما ابتسم النوار عن أدمع الحيا ... وجف بخد الورد عارض نيسان
كما صفقت ريح الشمال شمولها ... فبان ارتياح السكر فى غصن البان[1]

وبعث إلى السلطان فى الوقت نفسه من سلا، برسالة بليغة يهنئه فيها بذلك الفتح الكبير [2].

وأنفق ابن الخطيب ومليكه فى المنفى زهاء عامين ونصف، حتى مهدت حوادث الأندلس لسقوط المغتصب، واستطاع الغنى بالله بمعاونة الوزير عمر المتغلب على المغرب، أن يسترد ملكه، وذلك فى جمادى الآخرة سنة ٧٦٣هـ (١٣٦١م)، ورد السلطان وزيره ابن الخطيب إلى سابق مكانته فى الوزارة؛ ولكنه لم ينعم تلك المرة بسابق حظوته ونفوذه، إذ كان ينافسه فى السلطة شيخ الغزاة عثمان بن يحيى، الذى قربه السلطان وأولاه عطفه، لما قام به من معاونته فى استرداد ملكه. ونشبت بين الرجلين منافسة شديدة؛ وما زال ابن الخطيب يحرض السلطان ويحذره من نفوذ عثمان وآله، ويذكره بسابق غدرهم، حتى استجاب السلطان إلى تحريضه ونكبهم (رمضان سنة ٧٦٤هـ)، وبذا خلا له الجو، وتبوأ ذروة النفوذ والسلطان.

ويصف لنا ابن الخطيب، جهوده وعمله فى الوزارة يومئذ فى قوله: «ثم صرفت الفكر إلى بناء الزاوية والمدرسة والتربة، بكر الحسنات بهذه الخطة، بل بالجزيرة فيما سلف من المدة، فتأتى بمنة الله تعالى من صلاح السلطان، وعفاف الحاشية والأمن. وروم الثغور، وتثمير الجباية، وإنصاف الحماة والمقاتلة، ومقارعة الملوك المجاورة، فى إيثار المصلحة الدينية، والصدع فوق المنابر، ضماناً من السلطان، بترياق سم الثورة، وإصلاح بواطن الخاصة والعامة...» [3].

غير أن معظم الروايات تدل من جهة أخرى، على أن ابن الخطيب جنح

---

(١) وردت هذه القصيدة بأكملها فى نفح الطيب ج ٣ ص ١٦ — ١٩؛ وفى بعض أجزائها ينحو ابن الخطيب نحو أبى البقاء فى مرثيته الأندلسية.

(٢) راجع هذه الرسالة فى نفح الطيب ج ٣ ص ١٩ و ٢٠

(٣) راجع نفح الطيب ج ٣ ص ٤١.

عندئذ إلى الاستبداد وسوء المسلك والسيرة . وإليك كيف يصف صديقه ومعاصره ابن خلدون هذه المرحلة من حياته :

« وغلب على هوى السلطان ، ودفع إليه تدبير الدولة ؛ وخلط بنيه بندمائه وأهل حكومته ؛ وانفرد ابن الخطيب بالحل والعقد ، وانصرفت إليه الوجوه ، وعلقت به الآمال ، وغشى بابه الخاصة والكافة ، وغصت به بطانة السلطان وحاشيته ، فتفننوا فى السعاية فيه » (١) .

وأنفق ابن الخطيب بضعة أعوام أخرى فى الوزارة ، وهو يستأثر بكل سلطة ، ويتصرف تصرف الحاكم المطلق ، ويثير حوله ضراماً من البغضاء والحسد . وكان السلطان يعرض فى البداية عن الإصغاء لأعدائه والوشاة به ، ولكنه بدأ فى النهاية يتأثر بسعايتهم . وشعر ابن الخطيب أنه قد بدأ يتغير عليه ، وخشى العاقبة ، فعول على مغادرة الأندلس ، واستأذن السلطان فى تفقد الثغور الغربية ، وسار إليها فى نفر من خاصته ومعه ولده على ؛ وما كاد يصل إلى جبل الفتح ، حتى عبر البحر إلى سبتة ( ٧٧٣هـ ) ، وذلك بتفاهم سابق بينه وبين السلطان عبد العزيز المرينى ، ملك المغرب . وكان السلطان يقيم يومئذ فى تلمسان ، فقصد إليها ابن الخطيب ، واستقبله السلطان بحفاوة ، وأنزله أكرم منزل ، وبعث سفيراً إلى الأندلس ليسعى فى استقدام أسرة الوزير المنفى ، فأتى بها معززة مكرمة ، وتبوأ ابن الخطيب فى بلاط ملك المغرب أسمى مكانة . وغص خصوم ابن الخطيب بغرناطة ، بنجاته على هذا النحو ، فعولوا على ملاحقته وسحق هيبته ، فاتهموه بالزندقة والخروج عن شريعة الإسلام ، والطعن فى النبى ، والقول بالحلول ، وسلوك مذهب الفلاسفة الملحدين ، ونسبوا إليه فى ذلك أقوالا ومقالات أولوها وفق مقاصدهم . وكان تلميذه وخلفه فى الوزارة أبو عبد الله بن زمرك ، أكبر مروج لهذه الدعاية ؛ وتولى صوغ الإتهام القاضى أبو الحسن بن الحسن النباهى عدو ابن الخطيب ، وأفتى بوجوب حرق كتبه التى تتناول العقائد والأخلاق ، فأحرقت فى غرناطة بمحضر من الفقهاء والمدرسين والعلماء « لما تضمنته من المقالات التى أوجبت ذلك عندهم وحققته لديهم » (سنة ٧٧٣ هـ)(٢).

---

(١) ابن خلدون ج ٧ ص ٣٣٥ .

(٢) كتاب المرقبة العليا ، أو تاريخ قضاة الأندلس لأبى الحسن النباهى المنشور بعناية الأستاذ ليفى بروفنسال ص ٢٠٢ .

ووجه أبو الحسن إلى ابن الخطيب بالمغرب رسالة شديدة ، ينوه فيها بما ارتكبه من الطعن فى حق النبى ، ويقول : «فانه نقل عنكم فى هذا الباب أشياء منكرة ، يكبر فى النفوس التكلم بها ، أنتم تعلمونها وهى التى زرعت فى القلوب ما زرعت من بغضكم وإيثار بعدكم ، مع استشعار الشفقة والوجل ، من وجه آخر عليكم ، ولولا أنكم سافرتم قبل تقلص السلطة عنكم ، لكانت الأمة المسلمة امتعاضاً لدينها ودنياها ، قد برزت بهذه الجهات لطلب الحق منكم» . ثم يعدد مثالبه فى الحكم قائلا : «فليس يعلم أنه صدر منكم من العيث ، فى الإبشار والأموال ، وهتك الأعراض وإفشاء الأسرار ، وكشف الأستار ، واستعمال المكر والحيل والغدر ، فى غالب الأحوال ، للشريف والمشروف والخادم والمخدوم» [١] . وسجل القاضى أبو الحسن تهمة الزندقة على ابن الخطيب ، وصادق السلطان على حكمه ، وأرسل القاضى رسله إلى السلطان عبد العزيز ، يطالب بتنفيذ حكم الشرع فى الوزير الملحد وهو الإعدام ، فأنف السلطان لطلبه وعنف رسل الأندلس ، وقال لهم : «هلا أنفذتم فيه حكم الشرع وهو عندكم ، وأنتم عالمون بما كان عليه» وردهم خائبين ، وزاد فى إكرام ابن الخطيب ورعايته [٢].

ولما توفى السلطان عبد العزيز بعد ذلك بقليل ( ٧٧٤ هـ ) ، وخلفه ولده السعيد طفلا على العرش غادر بلاطُ المغرب تلمسان ، وسار ابن الخطيب برفقة الوزير أبى بكر بن غازى القائم بالدولة ، ونزل بفاس ، واقتنى الضياع والدور ، واستمر على مكانته فى الدولة . ولكن حوادث المغرب مالبثت أن تمخضت عن انقلاب جديد . ذلك أن الثورة نشبت فى شمال المغرب ، على يد بعض الزعماء من بنى مرين . وعضدت حكومة الأندلس هذه الحركة وأمدتها بالعون ، ونادى الثوار بولاية الأمير أحمد بن السلطان أبى سالم . وحاول الوزير ابن غازى مقاومة الثوار فلم يفلح ، واقتحم الخوارج فاس فأذعن الوزير ، وخلع الملك الطفل السعيد ، وجلس السلطان أحمد على العرش وذلك فى أوائل سنة ٧٧٦هـ ( ١٣٧٤ م ) .

وكان ابن الخطيب قد لجأ فى أثناء ذلك إلى البلد الجديد ( ضاحية فاس ) ،

---

(١) نفح الطيب ج ٣ ص ٦٨ .

(٢) راجع ابن خلدون ج ٧ ص ٢٣٥ و ٢٣٦ ؛ ونفح الطيب ج ٣ ص ٦٧ و ٦٨

وكان التفاهم قد تم بين السلطان ابن الأحمر وزعماء الفتنة . بشأن ابن الخطيب ومصيره ؛ فلما وقع الانقلاب بادر السلطان بالقبض على ابن الخطيب واعتقاله ، تنفيذاً للعهد الذى قطعه لابن الأحمر ، ولم يدخر وزيره سليمان بن داود ، وقد كان من ألد خصوم ابن الخطيب جهداً ، فى تشديد النكير عليه وتدبير مصرعه . وكان ابن الأحمر يتوق إلى الانتقام من وزيره السابق ، لما نمى إليه من أنه كان يحرض السلطان عبد العزيز على محاربته ، وبعث ابن الأحمر وزيره أبا عبد الله بن زمرك إلى فاس ليعمل على تحقيق هذه الغاية ، وعقد السلطان أحمد مجلساً من رجال الدولة وأهل الشورى ، استدعى إليه ابن الخطيب لمناقشته ، ومواجهته بالتهم المنسوبة إليه ، وأخصها تهمة الزندقة ، استناداً على ماورد فى بعض رسائله ، وعزر وعذب أمام الملأ ، وأفتى بعض الفقهاء المتعصبين بوجوب قتله ، ودس عليه الوزير سليمان بعض الأوغاد فقتلوه خنقاً فى سجنه ، وأخذت جثته فى الغد وأضرمت فيها النار ثم دفنت .

وهكذا ذهب الكاتب والمفكر الكبير ، ضحية الجهالة والتعصب ، والأحقاد السياسية الوضيعة ؛ وقد نقل إلينا صديقه ابن خلدون عنه أبياتاً من الشعر ، كان يرددها وهو فى سجنه ، ويرثى بها نفسه توقعاً لمصيره المحزن :

بعدنا وإن جاورتنا البيوت ... وجئنا بوعظ ونحن صُموت
وأنفاسنا سكنت دفعة ... كجهر الصلاة تلاه القنوت
وكنا عظاماً فصرنا عظاما ... وكنا نقوت فها نحن قوت
وكنا شموسَ سماء العلا ... غربن فناحت عليها البيوت
فقل للعدا ذهب ابن الخطيب ... وفات ومن ذا الذى لا يفوت
فمن كان يفرح منكم له ... فقل يفرح اليوم من لا يموت(١)

* * *

ومن الصعب علينا أن نلم بمجهود ابن الخطيب الفكرى والأدبى فى هذا المقام الضيق . والحقيقة أن ابن الخطيب كان عبقرية متعددة الجوانب ، فكان طبيباً وفيلسوفاً وشاعراً وكاتباً ، وكان سياسياً ومؤرخاً ، وقد ترك لنا تراثاً ضخماً متنوعاً ، من مؤلفات عديدة ، وديوان شعر حافل ، ورسائل أدبية وسياسية لاتحصى ؛ ومن

---

(١) كتاب العبر ج ٧ ص ٣٤١ و ٣٤٢ ؛ وأزهار الرياض ج ١ ص ٢٣١ .

أشهر رسائله بنوع خاص تلك التى كان يوجهها إلى أهل الأندلس من وقت إلى آخر ، يحثهم فيها على الجهاد ، والذود عن وطن يتربص به العدو ، ويعتزم القضاء عليه ، وهى رسائل تدلى بما كان لابن الخطيب من فكر ثاقب وبصيرة نافذة ، هذا فضلا عما تمتاز به من روعة البيان والأسلوب .

ونستطيع أن نذكر من مؤلفات ابن الخطيب الكتب الآتية :

الإحاطة فى أخبار غرناطة . مركز الإحاطة بأدباء غرناطة . الحلل المرقومة ( بالإسكوريال ) . اللمحة البدرية فى تاريخ الدولة النصرية . رقم الحلل فى نظم الدول . الحلل الموشية فى الأخبار المراكشية . التاج المحلى فى مساجلة القدح المعلى . ( وهو أيضاً تاريخ لغرناطة ) . منفعة السائل فى المرض الهائل . ( وهو يتعلق بالوباء الكبير سنة ٧٤٩ هـ ) ( بالاسكوريال ) . ريحانة الكتاب ( بالاسكوريال ) . الديوان ( بالاسكوريال ) . السحر والشعر . الكتيبة الكامنة فى أدباء المائة الثامنة [١].

ولابن الخطيب تراث حافل من الرسائل الأدبية والسياسية ، وقد نقل إلينا المقرى منها العدد الجم ، ونقل إلينا ابن خلدون بعض ما كان يتبادله معه منها [٢] .

ويفرد المقرى فى كتابه نفح الطيب مجلدين كاملين ( هما الثالث والرابع ) لابن الخطيب وأخباره وشعره ونثره ، وشيوخه وتلاميذه ، وقد نقل إلينا فيهما من مختلف كتبه ورسائله ، فصولا وشذوراً لاتحصى ، كما نقل إلينا وصيته لأولاده ، وهى من أبدع ما كتب [٣] .

وكان ابن الخطيب من أئمة الموشحات الأندلسية ، ومن أشهر نظمه الموشحة الذائعة الصيت التى مطلعها :

جادك الغيث إذا الغيث همى ... يازمان الوصل بالأندلس
لم يكن وصلك إلا حلماً ... فى الكرى أو خلسة المختلس
إذ يقود الدهر أشتات المنى ... ينقل الخطو على ما يرسم

---

(١) وقد انتهى إلينا معظم هذه الكتب ، ونشر عدد منها مثل الاحاطة (الأجزاء الأولى) ، واللمحة البدرية ، والحلل الموشية ، ورقم الحلل .

(٢) راجع كتاب العبر ج ٧ ص ٤٢١ — ٤٣٠ ؛ وقد أورد لنا المقرى فى أزهار الرياض تفصيلا أوفى لآثار ابن الخطيب ( ج ١ ص ١٨٩ و ١٩٠ ) .

(٣) راجع نفح الطيب ج ٤ ص ٤١٩ — ٤٢٦ .

زمراً بين فرادى وثنـــا مثل ما يدعو الوفود الموسم
والحيا قـد جلل الروض سنا فثغور الزهـــر منـــه تبسم[1]

— ٣ —

كان ابن الخطيب قطب الشعر والنثر فى عصره ، وكان محور الحركة الفكرية الأندلسية كلها ، فى أواسط القرن الثامن الهجرى ، تجتمع إليه وتلتف حوله ؛ وقد أتينا على ذكر بعض أكابر الشعراء من معاصريه ، المتقدمين عنه ، مثل ابن الجياب وابن سلبطور وابن خاتمة . وسنأتى هنا على ذكر أقطاب الشعر والأدب من معاصريه المتأخرين عنه . بيد أنه يجب أن نلاحظ أن عبقرية ابن الخطيب الأدبية ، قـد طبعت هذه المرحلة كلها ، من تاريخ الحركة الفكرية الأندلسية ، بطابعها القوى ، وبعثت إليها كثيراً من أسباب القوة والروعـة ، حتى ليسوغ لنا أن نقول إن مدرسة ابن الخطيب الأدبية ، امتدت منذ عصره إلى أواخر القرن الثامن وأوائل القرن التاسع الهجرى .

بل يلوح لنا أن الأثر القوى الذى بثته هذه المدرسة الأدبية الباهرة ، لم يقتصر على مملكة غرناطة ، بل تعدى حدود الأندلس المسلمة إلى قواعد الأندلس الذاهبة ، التى دخلت فى حوزة النصارى وتدجن أهلها ، فبدا بها شعاع ضئيل من النبوغ الأدبى القديم ، وظهر فيها بعض الشعراء الموهوبين ، بالرغم من مضى أكثر من قرن على خضوعها لحكم اسبانيا النصرانية . فمثلا نجد بين كتاب بلنسية وشعرائها يومئذ ، الفقيه أبا جعفر بن عبد الملك العذرى ، ومما كتبه لابن الخطيب فى بعض الشئون :

إنى بمجدك لم أزل مستيقنـــاً أن لا يهـــدم بالتغير ما بنى
إذ أنت أعظم ماجد يعزى لـه صنع وأكرم من عفا عمن جنى

وكتب له أيضاً :

إن كان دهر قد أساء وجارا فذمام مجدك لا يضيع جـــارا
فلأنت أعظم ملجأ ينجى إذا ما الدهر أنجـد مُوعداً واغارا[2]

---

(١) راجع هذه الموشحة بأكملها فى نفح الطيب ج ٤ ص١٩٨ ومابعدها .

(٢) راجع نفح الطيب ج ٣ ص٤٢٦ .

وكان الوزير ابن زمرك ، تلميذ ابن الخطيب وخلفه فى الوزارة ، أعظم شخصية تزعمت من بعده الحركة الأدبية بالأندلس ؛ وهو محمد بن يوسف بن محمد الشهير بأبى عبد الله بن زمرك ، أصله من شرقى الأندلس ، ونزحت أسرته إلى غرناطة ، واستقرت بربض البيازين . وبه ولد أبو عبد الله سنة ٧٣٣هـ (١٣٣٣م) ودرس دراسة حسنة فى غرناطة وفاس ، وخدم حيناً فى بلاط السلطان أبى سالم المرينى . ولما نفى السلطان الغنى بالله إلى المغرب ، اتصل به ابن زمرك وانقطع إليه ، ثم عاد حين استرد ملكه ، فولاه كتابة السر وغمره بعطفه . وظهر ابن زمرك يومئذ ببارع أدبه ، وروعة نظمه ونثره ؛ وينوه ابن الخطيب فى الإحاطة بذكائه وخلاله ، وتفوقه فى الدرس والأدب ، ويصف شعره بأنه « مترام إلى هدف الإجادة ، كلف بالمعانى البديعة ، والألفاظ الصقيلة ، غزير المادة » .

وعمل ابن زمرك فى كتابة السر فى كنف ابن الخطيب وتحت رعايته . ولكنه كان ضالعاً مع خصومه ، فلما انقضت العاصفة على ابن الخطيب وأصابته المحنة ، كان ابن زمرك فى طليعة أعدائه الساعين إلى هلاكه . وقد خلفه فى الوزارة عقب فراره ، وهو الذى تولى مهمة السعى لدى بلاط فاس فى محاكمته وإعدامه حسبما أسلفنا.

واستمر ابن زمرك على حظوته ونفوذه أعواماً طويلة ، ولكنه كان لطغيانه وغطرسته وحدة لسانه ، يثير حوله كثيراً من البغض والخصومة . وفى أواخر عهد الغنى بالله فقد حظوته ونفوذه ، واعتقل ونفى خارج غرناطة ؛ ولكنه عاد بعد وفاته إلى الحضرة . وفى بداية عهد السلطان محمد بن يوسف الثانى ، أعيد إلى الوزارة ، فأساء السيرة ، واشتد عيثه وطغيانه ، وكثر خصومه . وفى ذات ليلة من سنة ٧٩٧هـ ( ١٣٩٥م ) دهمه فى منزله جماعة من المتآمرين ، فقتلوه وولديه وخدمه شر قتلة . وينوه المقرى بما فى ذلك من عبر الدهر إذ كان ابن زمرك هو الساعى إلى مقتل أستاذه ابن الخطيب ، فكان أن دارت عليه الدائرة ، وقتل مثله ولكن بصورة أقسى وأشنع (١) .

---

(١) نفح الطيب ج ٤ ص٢٨٦ — ٢٩٠ ، وينقل إلينا المقرى ترجمة ابن زمرك عن كتاب لمعاصره الأمير اسماعيل بن الأحمر ، وينقل إلينا فى أزهار الرياض كثيراً من موشحاته (ج ٢ ص ١٧٧ ومابعدها). وقد أورد المستشرق بروكلمان (ج٢ ص٢٢٩) تاريخ مقتله فى سنة ٧٩٥هـ(١٣٩٣م) ولكن رواية ابن الأحمر هى الأرجح .

ولابن زَمرك شعر كثير جيد نقل إلينا المقرى منه قصائد وموشحات عديدة، فمن شعره قوله يمتدح سلطان الأندلس الغنى بالله فى سنة ٧٦٥هـ :

لعل الصبا إن صافحت روض نعمان ... تؤدى أمان القلب عن ظبية البان
وماذا على الأرواح وهى طليقة ... لو احتملت أنفاسها حاجة العانى
وما حال من يستودع الريح سره ... ويطلبها وهى النموم بكتمان
وكالطيف أستقريه فى سنة الكرى ... وهل تنقع الأحلام غلة ظمآن
إمام أعاد الملك بعد ذهابه ... إعادة لا تأبى الحسام ولا وانى
فغادر أطلال الضلال دوارسا ... وجدد للإسلام أرفع بنيان
وشيدها والمجد يشهد دولة ... محافلها تزهى بيمن وإيمان

ومن قوله فى قصيدة طويلة يصف فيها دار الملك ( الحمراء ) :

فكم فيه للأبصار من متنزه ... تجد به نفس الحليم الأمانيا
وتهوى النجوم الزهر لو ثبتت به ... ولم تك فى أفق السماء جواريا
به البهو قد حاز البهاء وقد غدا ... به القصر آفاق السماء مباهيا
وكم حلة قد جللت بحليها ... من الوشى تنسى السابرى اليمانيا
وكم من قسى فى ذرة ترفعت ... على عمد بالنور باتت حواليا
فتحسبها الأفلاك دارت قسيها ... تظل عمود الصبح إذ بات باديا
سوارى قد جاءت بكل غريبة ... فطارت بها الأمثال تجرى سواريا
به المرمر المجلو قد شف نوره ... فيجلو من الظلماء ما كان داجيا
به البحر دفاع العباب تخاله ... إذا ما انبرى وفد النسيم مباريا
إذا ما جلت أيدى الصبا متن صفحة ... أرتنا دروعاً أكسبتنا الأباديا

ومن قوله يشيد بأعمال الأميرين سعد ونصر، ولدى السلطان ، فى ميدان الجهاد :

يا آل نصر أنتم سرج الهدى ... فى كل خطب قد تجهم مظلم
الفاتحون لكل صعب مقفل ... والفارجون لكل خطب مبهم
والباسمون إذا الكماة عوابس ... والمقدمون على السواد الأعظم
أبناء أنصار النبى وحزبه ... وذوى السوابق والجوار الأعظم

ومن قوله فى الغزل :

قيادى قد تملكه الغرام ووجدى لا يطاق ولا يرام
ودمعى دونه صوب الغوادى وشجوى فوق ما يشكو الحمام
إذا ما الوجد لم يبرح فؤادى على الدنيا وساكنها السلام

ولابن زمرك موشحات كثيرة رائعة، ومنها موشحته الشهيرة فى الإشادة بغرناطة ومحاسنها إذ يقول :

نسيم غرناطة عليل لكنه يبرئ العليل
وروضها زهره بليل ورشفه ينقع الغليل
سقى بنجد ربا المصلى مباكراً روضه الغمام سقى بنجد ربا المصلى
تبسم الزهر فى الكمام والروض بالحسن قد تجلى وجرد النهر عن حسام
ودوحها ظله ظليل يحسن فى ربعه المقيل
والبرق والجو مستطيل يلعب بالصارم الصقيل
عقيلة تاجها السبيكه تطل بالمركب المنيف كأنها فوقه مليكه
كرسيها جنة العريف تطلع من عسجد سبيكه شموسها كلما تطيف
أبدعك الخالق الجميل يامنظراً كله جميل
قلبى إلى حسنه يميل وقلبنا قد صبا جميل[1]

ونكتفى بما تقدم فى الاقتباس من شعر الوزير ابن زمرك ، ويلوح لنا أنه قد يتفوق فى شاعريته على أستاذه ابن الخطيب ، وأن إنتاجه الشعرى ولاسيما فى الموشحات قد يتفوق على إنتاج أستاذه ، على أنه لاريب أنه يقصر عن مجاراة ابن الخطيب ، فى كثير من نواحى التفكير والإنتاج الأخرى .

* * *

وظهر من أعلام تلك المدرسة الزاهرة ، إلى جانب ابن الخطيب وابن زمرك ، عدة آخرون من الشعراء والكتاب ، منهم أبو سعيد فرج بن لب ؛ ولد سنة ٧٠١هـ وتوفى سنة ٧٨٢هـ ( ١٣٨٠م ) ، وكان من أشهر أساتذة المدرسة النصرية (جامعة غرناطة) ،

---

(١) راجع ترجمة ابن زمرك وهى التى نقلها المقرى عن ابن الأحمر ، فى نفح الطيب ج ٤ ص ٢٨٧ وما بعدها ؛ وقد نقل إلينا المقرى كثيراً من قصائده وشعره (ج ٤ ص ٢٩٦ — ٣٥٤)

وقد ولى خطابة الجامع الأعظم حيناً ، وكان فوق تضلعه فى الفقه شاعراً مجيداً ، وقد ترك لنا مجموعة من الفتاوى المشهورة ، وطائفة من الشعر الجيد ، ومن نظمه قوله :

خذوا للهوى من قلبى اليوم ما أبقى ... فما زال قلبى كله للهوى رقاً
دعوا القلب فى لظى الوجد ناره ... فنار الهوى الكبرى وقلبى هو الأشقى
سلوا اليوم أهل الوجد ماذا به لقوا ... فكل الذى يلقون بعض الذى ألقى
فان كان عبد يسأل العتق سيداً ... فلا تبغى من مالكى فى الهوى عتقا[1]

ومنهم القاضى أبو محمد بن عطية بن يحيى المحاربى كاتب الإنشاء ، وكان بارعاً فى النظم والنثر وخطيباً مفوهاً ، أصله من وادى آش وبها ولد سنة ٧٠٩هـ وتولى القضاء بهـا . ووفد على غرناطة سنة ٧٥٦هـ ودرس على ابن الخطيب وغيره من أكابر الشيوخ ، وتولى الكتابة السلطانية حيناً . ومن شعره قوله :

ألا أيها الليل البطىء الكواكب ... متى ينجلى صبح بليل المـآرب
وحتى متى أرعى النجوم مراقباً ... فمن طالع منها على إثر غارب
أحدث نفسى أن أرى الركب سائراً ... وذنبى يقصينى بأقصى المغارب
فلا فزت من نيل الأمانى بطائل ... ولاقمت فى حق الحبيب بواجب[2]

ومنهم الأمير الأديب أبو الوليد إسماعيل بن السلطان أبى الحجاج يوسف ( يوسف الثانى ) المعروف بالأمير ابن الأحمر ، وقد سبقت الإشارة إليه . وكان أديباً ضليعاً ، وقد تناول فى كتابه « نثير الجمان » ، أكابر الكتاب والشعراء فى القرن الثامن الهجرى ، وأفاض بنوع خاص فى ذكر ابن الخطيب وتلميذه ابن زمرك ، ونقل عنه المقرى فى كتابيه نفح الطيب وأزهار الرياض ، معظم ما كتب عن أدباء عصره ، ونقل عنه بالأخص كتابه عن ابن زمرك حسبما بينا فى موضعه ، وعاش الأمير ابن الأحمر فى أواخر القرن الثامن وأوائل القرن التاسع الهجرى . ومنهم أبو عبد الله الشريشى تلميذ ابن الخطيب ومساعده ( سكرتيره ) ، وكان مؤدبا لأبناء السلطان ، وهو الذى تولى نقل كتاب الإحاطة لابن الخطيب من مسوداته ؛

---

(١) راجع نفح الطيب ج ٣ ص ٢٦٧ و ٢٦٨ .
(٢) نفح الطيب ج ٤ ص ٣٦٢ — ٣٦٥ .

بتكليف منه لاشتغاله بشئون الوزارة ، فجاء فى سنة مجلدات كبيرة ، وكان الشريشى فى الوقت نفسه من علماء القرآن والسنة [١] .

ونستطيع أن نذكر إلى جانب هذه الجمهرة الممتازة من الشعراء والأدباء ، عدة من الفقهاء والمؤرخين ، منهم ابن فرحون برهان الدين ابراهيم بن على اليعمرى الأندلسى المتوفى سنة ٧٩٩هـ ( ١٣٩٦م ) ، وكان فقيهاً ومؤرخاً ، ومن أشهر مؤلفاته كتاب «الديباج المذهب فى معرفة علماء أعيان المذهب» ، وهو تراجم طبقات المالكية . وقد طبع مراراً بالمغرب ومصر ، وكتاب « طبقات علماء العرب » ومن نسخة بالاسكوريال [٢] .

ومنهم أبو الحسن على بن عبد الله بن محمد الجذامى المالقى النباهى ؛ ولد بمالقة سنة ٧١٣هـ . ودرس على أشياخها . ثم وفد على غرناطة ، وتولى القضاء ، ثم عين كاتباً بالديوان . وانتهى إلى ولاية قضاء الجماعة بغرناطة . ونشبت بينه وبين ابن الخطيب خصومة شديدة ، وتبادلا الطعن والهجاء اللاذع فى عدة رسائل ومقالات . ولما نكب ابن الخطيب وغادر الأندلس ، كان النباهى فى مقدمة متهميه بالكفر والزندقة والساعين إلى هلاكه حسبما قدمنا . وتوفى فى أواخر القرن الثامن . ومن آثاره الباقية كتاب « نزهة البصائر والأبصار فى تاريخ الدولة النصرية » كتبه فى سنة ٧٨١هـ ( ١٣٧٩ م ) ومنه نسخة فى الاسكوريال ، وكتاب « المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا » وهو تاريخ لقضاة الأندلس . وقد نشر أخيراً [٣] . ومنهم الفقيه أبو القاسم بن سلمون الكنانى الغرناطى قاضى الجماعة بغرناطة المتوفى سنة ٧٦٧هـ ( ١٣٦٥م ) ، ومن آثاره كتاب « العقد المنظم للحكام فيما يجرى بين أيديهم من الوثائق والأحكام »[٤] ، وأبو عبدالله محمد بن على بن اسحق الرندى المتوفى سنة ٧٩٢هـ

---

(١) نفح الطيب ج ٤ ص ٣٦٢

(٢) راجع نفح الطيب ج ٣ ص ٢٩٨ و ٢٩٩ ؛ وبروكلمان : المصدر السابق ج ٢ ص ٢٦٣ .

(٣) وقد قام على نشره الاستاذ ليفى بروفنسال ، ونشره بعنوان « تاريخ قضاة الاندلس » . ( القاهرة سنة ١٩٤٨ ) . وراجع فى ترجمة النباهى الكتاب المشار اليه ( المقدمة ) وأزهار الرياض ج ٢ ص ٥ — ٧ . وراجع بروكلمان ، المصدر السابق ج ٢ ص ٢٦٣ .

(٤) بروكلمان المصدر السابق ج ٢ ص ٢٦٤ .

( ١٣٨٩م ) . وكان من أقطاب التصوف وقد كتب كتاب « الرسائل الكبرى » وغاية المواهب العلية بشرح الحكم العطائية » [١] .

وأما فى ميدان العلوم فلم نعثر على ما يدل على ازدهارها فى تلك الفترة ، على أننا نستطيع أن نذكر أن ابن الخطيب كان إلى جانب أدبه الممتاز ، عالماً بالطب والفلسفة ، وكان من تلاميذه الطبيب العالم ابن المهنا شارح الفية ابن سينا ، وشرحه عليها من أقيم الشروح [٢] .

---

(١) بروكلمان ، المصدر السابق ج ٢ ص ٣٦٥ .

(٢) راجع نفح الطيب ج ٤ ص ٣٦٢ .

obeikandl.com

# الفصل الرابع

## العصر الأخير والآثار الباقية

ركود الحركة الفكرية · الشعراء الذين ظهروا فى هذا العصر · القاضى أبو بكر بن عاصم · ولده أبو يحى · بعض الكتاب والأدباء · الشريف العقيلى وزير أبى عبد الله · ما حدث بعد سقوط غرناطة · القضاء على اللغة العربية · الأدب الموريسكى · محاولة اسبانيا القضاء على تراث الأندلس · ايداع الكتب العربية الباقية بقصر الاسكوريال · المجموعة العربية فى الاسكوريال · حجبها عن أعين الباحثين · معجم الغزيرى · انتفاع البحث الحديث بالآثار الأندلسية · معجم المستشرق ديرنبور · الفن فى الأندلس · تطوره منذ القرن الرابع الهجرى · ازدهاره أيام الناصر وابنه المستنصر · تقدمه أيام الطوائف · ركوده أيام المرابطين والموحدين · الفن فى مملكة غرناطة · الموسيقى الأندلسيه · الآثار الباقية ·

بدأت مملكة غرناطة منذ أوائل القرن التاسع الهجرى تستقبل عصرها الأخير ، وأخذ الإستقرار والسلم النسبى الذى تمتعت به حيناً فى أواخر القرن الثامن ، وأوائل القرن التاسع ، يتصرم شيئاً فشيئاً ، وأخذت من ذلك الحين تواجه طائفة من الثورات والانقلابات الداخلية المتوالية ، وتواجه فى الوقت نفسه طوالع الصراع الأخير بينها وبين اسبانيا النصرانية ، التى أخذت منذ منتصف القرن التاسع ( القرن الخامس عشر الميلادى ) توثق أواصر اتحادها ، وتستجمع قواها لإنزال ضربتها الأخيرة بعدوتها القديمة التالدة اسبانيا المسلمة .

وما كانت الحركة الفكرية لتزدهر فى مثل هذا الأفق الكدر ؛ ولذا نجد فى هذا العصر فراغاً ملحوظاً فى ميادين التفكير والأدب فى الأندلس المحتضرة ، ولا نعثر إلا بقلة من المفكرين والأدباء ، الذين ظهروا فى تلك الفترة متفرقين متباعدين .

وكان ممن ظهر فى ميدان التفكير والأدب فى تلك الفترة على بن عاصم شاعر السلطان يوسف الثانى وقد جمع له مجموعة شعرية فى سنة ٧٩٣هـ ( ١٣٩١م ) [1] .

والقاضى أبو بكر محمد بن عاصم القيسى الغرناطى ، وقد كان أعظم شخصية

---

(١) بروكلمان ، المصدر السابق ج ٣ ص ٢٥٩ ·

ظهرت فى هذا الميدان فى مملكة غرناطة فى أوائل القرن التاسع الهجرى . ولد بغرناطة سنة ٧٦٠هـ (١٣٥٨م) وتوفى بها سنة ٨٣٩هـ (١٤٢٦م) ، وبرع فى النحو والمنطق والبيان والفقه . وتولى الوزارة للسلطان يوسف الثانى سنة ٧٩٣هـ (١٣٩١م) ، ثم ولى قضاء الجماعة بغرناطة ، وبرز فى النثر والنظم ، ووضع عدة قصائد وأراجيز ، تناول فيها بعض مسائل من علم الأصول ، والقراءات والفرائض والنحو وغيرها . وله كتاب « تحفة الأحكام فى نقط العقود والأحكام » ، وهو مختصر فى الفقه ، وقد طبع بمصر وترجم إلى الفرنسية . وله أيضاً كتاب « حدائق الأزهار فى مستحسن الأجوبة والمضحكات والحكم والأمثال والحكايات والنوادر » كتبه للسلطان يوسف . ويعرف بابن الخطيب الثانى لبراعته وجودة نثره ونظمه (١) .

وكذلك برع ولده العلامة الفقيه أبو يحيى بن عاصم فى النثر والنظم ، وتولى كأبيه منصب الكتابة والوزارة ، وكتب شرحاً على كتاب أبيه « تحفة الأحكام » وكتب رسالة فلسفية تاريخية عن أحوال غرناطة فى عصره ، وما دهاها من آثار التفرق والفتنة ، ووصف فيها أساليب السياسة الإسبانية ، فى الكيد والتفريق بين المسلمين ، أسماها « جنة الرضى فى التسليم لما قدر الله وقضى » . ونقل إلينا منها المقرى فى أزهار الرياض نبذاً عديدة تشهد بمقدرة صاحبها ، وعميق تفكيره ورائق أسلوبه (٢) .

وأبو الحسن سلام بن عبد الله الباهلى الإشبيلى ، وقد كتب سنة ٨٣٩هـ(١٤٢٥) كتاب « الذخائر والأعلاق فى أدب النفوس ومكارم الأخلاق » (٣) .

ومنذ منتصف القرن التاسع الهجرى ، تضمحل الحركة الفكرية فى مملكة غرناطة شيئاً فشيئا . ولا غرو فقد كانت غرناطة تخوض فى تلك الفترة بالذات ، مرحلة الصراع الأخير ، وكانت الحرب الأهلية تمزق أوصالها ، وخطر الفناء الداهم يبدو لها قوياً فى الأفق .

بيد أن شعاعاً أخيراً كان يبدو فى تلك الظلمات المدلهمة . فنرى فى أواخر

---

(١) راجع نفح الطيب ج ٣ ص ٨ و ٩ ؛ وبروكلمان : المصدر السابق ج ٣ ص ٢٦٤

(٢) راجع أزهار الرياض ، ج ١ ص ٥٠ وما بعدها ، و ص ١٦٧ وما بعدها .

(٣) بروكلمان : المصدر السابق ج ٣ ص ٢٥٩ وقد طبع الكتاب المشار إليه بالقاهرة سنة ١٩٢٨ .

القرن التاسع ، فى الوقت الذى كانت غرناطة تسلم فيه أنفاسها الأخيرة ، عدة من المفكرين والأدباء الذين يستحقون الذكر والتنويه .

وكان من هؤلاء القاضى أبو عبد الله محمد بن على بن محمد بن القاسم الإشبيهى المعروف بابن الأزرق ، أصله من وادى آش وتولى قضاء الجماعة بغرناطة . وكان بارعاً فى النثر والنظم والتاريخ . ومن آثاره كتاب فى السياسة الملكية عنوانه : « الإبريز المسبوك فى كيفية أدب الملوك » (سنة ٨٣٨هـ) . وكتاب «بدائع السلك فى طبائع الملك» لخص فيه محتويات مقدمة ابن خلدون وعلق عليها ، وأتى فى موضوعها بزيادات جديدة ، وكتاب « روضة الأعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام » . ولما ساءت الأحوال فى غرناطة وأشرفت على السقوط ، عبر البحر إلى تلمسان ، ثم ارتحل إلى المشرق[١] ، ونزل بالقاهرة فى عصر السلطان الأشرف قايتباى ، واتصل به ، وحاول أن يستحث همته لتسيير جيش إلى الأندلس لاسترداد غرناطة[٢] . ومن شعره المؤثر حين نزل النصارى بمرج غرناطة :

مشوق بخيمات الأحبة مولع ... تذكره نجد وتغريه لعلع
مواضعكم يا لائمين على الهوى ... فلم يبق للسلوان فى القلب موضع
ومن لى بقلب تلتظى فيه زفرة ... ومن لى بجفن تنهمى منه أدمع
رويدك فارقب للطائف موقعاً ... وخل الذى من شره يتوقع
وصبراً فان الصبر خير تميمة ... ويافوز من قد كان للصبر يرجع
وبت واثقا باللطف من خير راحم ... فألطافه من لمحة العين أسرع[٣]

ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد الحداد الشهير بالوادى آشى ، وهو أيضاً من أهل وادى آش ، وكان أديباً بارعاً وله تعليقات كثيرة على أدباء عصره . وقد غادر غرناطة قبيل سقوطها بقليل ونزل بتلمسان[٤] .

---

(١) بروكلمان ، المصدر السابق ج ٢ ص ٢٦٦ ؛ وأزهار الرياض ج ١ ص ١٧١ ، و ج ٣ ص ٣١٨ و ٣١٩ . وقد طبع كتاب الابريز المسبوك بالجزائر

(٢) راجع نفح الطيب ج ٢ ص ٥٠ .

(٣) أزهار الرياض ج ٣ ص ٣١٨ و ٣١٩ .

(٤) راجع أزهار الرياض ج ١ ص ٥٥ و ٧١ .

وأبو الحسن على بن محمد القرشى البسطى ، وقد ولد فى بسطة ودرس فى غرناطة وتلمسان وتونس ، ورحل إلى المشرق وأدى فريضة الحج ، ثم استقر بعد عوده فى غرناطة . ولما اشتد ضغط النصارى على غرناطة عبر البحر إلى تلمسان ، وعاش هناك حيناً آخر حتى توفى سنة ٨٩١هـ ( ١٤٨٦م ) . وقد برع البسطى فى الرياضيات ووضع كتباً فى الحساب والجبر (١) .

وأبو الحسن على بن قاسم بن محمد التجيبى الزقاق . وقد درس فى غرناطة وفاس وتولى الخطابة فى غرناطة . ولما سقطت غرناطة فى يد النصارى ، عبر البحر إلى المغرب ، وتوفى سنة ٩١٢ هـ ( ١٥٠٦م ) . ومن آثاره كتاب « المنهج المنتخب إلى أصول المذهب » فى الفقه المالكى (٢) .

على أن أعظم شخصية ظهرت فى تلك الفترة القاتمة فى ميدان التفكير والأدب ، هى شخصية الوزير والكاتب الشاعر أبى عبد الله محمد بن عبد الله العربى المعروف بالشريف العقيلى ، وزير أبى عبد الله محمد آخر ملوك الأندلس وكاتبه . وكان فوق تضلعه فى الفقه ، إمام عصره فى النثر والنظم . وقد وصفه الوادى آشى بأنه « شاعر العصر ، مالك زمامى النظم والنثر » وبأنه « إمام هذه الصناعة ، وفارس حلبة القرطاس واليراعة ، وواسطة عقد البلاغة والبراعة » . ووُصف أيضاً بحق بأنه خاتمة أدباء الأندلس .

ومن شعره يمدح السلطان أبى عبد الله حينما ولاه منصب الكتابة قوله :

أوجه سعدى انحط عنه اللثام ... أم بدر أفق فض عنه الغمام
كأنما أقبس نور البها من ... ن وجه مولانا الإمام الهمام
ابن أبى الحسن الأسرى الذى ... قد كان للأملاك مسك الختام
ضرغام قد أنجب شهباً له ... فى صدق بأس ومضاء اعتزام
دام له النصر الذى جاءه ... والسيف من طلى أعاديه دام

ومنه قوله حينما نزل النصارى بمرج غرناطة :

بالطبل فى كل يوم ... وبالنفير نراع
وليس من بعد هذا ... وذاك إلا القراع

---

(١) بروكلمان ، المصدر السابق ج ٢ ص ٢٦٦.
(٢) بروكلمان ، المصدر السابق ج ٢ ص ٢٦٥ .

يارب خيرك يرجـــو من هيض منه الـذراع
لاتسلبنى صـــــبراً منـــه لقلبى ادراع

ولما سقطت غرناطة فى يد الإسبان ، عبر الشريف العقيلى البحر إلى المغرب مع سلطانه المنفى أبى عبد الله محمد ، وكان من أروع ما كتب رسالة الإعتذار ، التى كتبها على لسان السلطان أبى عبد الله إلى سلطان المغرب ، وعنوانها « الروض العاطر الأنفاس فى التوسل إلى المولى الإمام سلطان فاس » (١) . ومهد لها بعد الديباجة بقصيدته الرائعة التى مطلعها :

مولى الملوك ملوك العرب والعجم رعيا لما مثله يرعى من الـذمم
بك استجرنا ونعم الجار أنت لمن جار الزمان عليه جـــور منتقم

وقد سبق أن أتينا على ذكر هذه الرسالة المؤثرة الفريدة ، فى موضعها ، وأوردنا طرفاً من قصيدة العقيلى ، ومن أقواله التى يخاطب بها السلطان أبو عبد الله سلطان فاس مستجيراً به ، ملتجئاً إلى حمايته ، معتذراً إليه عما بدر منه .

وعبر البحر إلى المغرب قبيل سقوط غرناطة وبعده جمهرة من العلماء والأدباء ، هم البقية الباقية من مجتمع الأندلس الفكرى (٢) . وقد آثروا مغادرة الوطن القديم على التعرض لفقد الحرية وامتهان الدين والكرامة القومية ، ومذلة العبودية فى ظل الحكم الأجنبى المتعصب .

— ٢ —

وكان سقوط غرناطة فى يد اسبانيا النصرانية فى سنة ٨٩٧هـ ( ١٤٩٢م ) ، نذيراً بانهيار صرح الأمة الأندلسية القومى والاجتماعى ، وتبدد تراثها الفكرى والأدبى ، وكانت إسبانيا النصرانية ترمى قبل كل شىء ، إلى القضاء على خواص الأمة المغلوبة الدينية والفكرية ، وعلى سائر الروابط الأدبية التى تربطها بماضيها المجيد ، وقد نجحت السياسية الإسبانية ، يدعمها طغيان الكنيسة وعسف ديوان التحقيق ، فى تحقيق هذه الغاية إلى أبعد حد ؛ فلم يمض على سقوط غرناطة نحو خمسين عاماً ،

---

(١) نشر المقرى هذه الرسالة بأكملها فى نفح الطيب ج ٢ ص ٦١٧ — ٦٢٨ ؛ وفى أزهار الرياض ج ١ ص ٧٢ — ١٠٢ .

(٢) راجع أزهار الرياض ج ١ ص ٧١ .

حتى استحالت بقية الأمة الأندلسية إلى شعب جديد ، يستبدل دينه القديم — الإسلام — بالنصرانية المفروضة ، ويتكلم القشتالية ، وتغيض البقية الباقية من خصائصه القديمة ، شيئاً فشيئا ، تحت ضغط التشريعات والإجراءات التعسفية المرهقة .

وكانت الأمة الأندلسية خلال هذا الإستشهاد المحزن ، الذى فرض عليها ، تحاول بكل وسيلة أن تستبقى ما وسعت ، من تراثها الفكرى والروحى القديم . فكان الموريسكيون بالرغم من دخولهم فى النصرانية ، يتعلقون سراً بدينهم القديم ، وكثير منهم يؤدون شعائر الإسلام خفية ، وديوان التحقيق من ورائهم يطاردهم بمنتهى القسوة حسبما فصلنا . وكانوا يحافظون جهدهم على لغتهم العربية . ولكن السياسة الإسبانية المرهقة ، فطنت منذ الساعة الأولى إلى أهمية اللغة فى تدعيم الروح القومية ، فعولت على سحق العربية وكل آثارها ، وصدر منذ أيام الإمبراطور شارلكان فى سنة ١٥٢٦ ، أول قانون لتحريم التخاطب بالعربية على الموريسكيين . ولكنه لم يطبق بشدة . وكانت العربية ماتزال حتى ذلك الوقت لغة لأدب يحتضر ، وكان يوجد ثمة بين الموريسكيين من ينظم بها الشعر ، وقد أشرنا فيما تقدم إلى القصيدة التى أرسلها الموريسكيون إلى السلطان بايزيد الثانى يلتمسون فيها النجدة والغوث ، وهى قصيدة تنم بالرغم من ركاكتها عن روح شعرية موثرة . واستمر الموريسكيون عصراً آخر يوجهون رسائلهم العربية إلى مسلمى المغرب . وكانت السياسة الإسبانية تضيق ذرعاً بالعربية ، وتزداد منها توجساً ، فعادت فى عهد فيليب الثانى لتتخذ خطوتها الحاسمة فى القضاء عليها . وصدر فى سنة ١٥٦٦ قانون جديد صارم يحرم على الموريسكيين التخاطب بالعربية أو التعامل بها على نحو ما فصلنا ، وطبق القانون بمنتهى الشدة . وكانت العربية قد أخذت تغيض شيئاً فشيئا فى غمر العسف والاضطهاد ، فجاء القانون الجديد ضربة قاضية لمظاهرها الباقية . وفى هذا الوقت بالذات نشهد نفثات العربية الأخيرة لدى الموريسكيين فى بعض قصائدهم السرية الثورية . وقد أشرنا فيما تقدم إلى قصيدة من هذا النوع كتبها من يدعى باسمه المسلم محمد بن داود فى التحريض على الثورة الموريسكية الاخيرة فى سنه ١٥٦٨

ولم تمض فترة قصيرة على تطبيق القانون الجديد بتحريم العربية نهائياً ، وفرض القشتالية كلغة للتخاطب والتعامل على الموريسكيين ، حتى اختفت المظاهر والآثار

الأخيرة للعربية . ومع ذلك فقد وجد الموريسكيون فى القشتالية ذاتها متنفس تفكيرهم وأدبهم القديم ، فكانوا يكتبون العربية بحروف قشتالية ، ويكتبون سيرة نبيهم القديم سراً باللغة القشتالية ، وينظمون بها المدائح النبوية والأساطير الدينية الإسلامية ، فى قصائد تختلط فيها الألفاظ العربية بالقشتالية . وتوجد إلى اليوم بقية من هذا الأدب الموريسكى ، الذى تبدو فيه الروح العربية ، بالرغم من لغته وأساليبه القشتالية .

وقد نوه غير واحد من الكتاب الإسبان ، بما كان عليه الأدب الموريسكى بالرغم من ضعفه وضآلة شأنه ، من شاعرية ، وشعور بالجمال ، وخيال ممتع ، وذوق سليم . ويعلق الدون برونات على اختفاء الموريسكيين واختفاء أدبهم بعبارات شعرية يقول فيها : « إن السياسة الإسبانية لم تكتف بنفى الموريسكيين وما ترتب عليه من نضوب حقولنا ومصانعنا وخزائننا ، ولم يقتصر الأمر على انتصار التعصب ، وبربرية ديوان التحقيق بل تعداه إلى إختفاء الشعر ، وشعور الجمال الموريسكى ، والأدب السليم الذى رفع سمعة تاريخنا » .

ثم يقول : « إنه قد اختفى بطرد الموريسكيين ، الأدب المعطر ، والشاعرية الشعبية ، والخيال الممتع ، ومصدر الوحى الذى كانوا يمثلونه . وقد غاض باختفائهم من شعرنا هذا التلوين والفن والحيوية والإلهام والحماسة ، التى كانت خواصهم ، وحل محلها الظلام فى الأفق الأدبى خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر » .

ويعرف الأدب الموريسكى فى الإسبانية « بالألخميادو » Aljamiado . ويقول بعض النقدة : إنه وإن لم تكن للأدب الموريسكى ثروة من الجمال ، أو قيمة أدبية ذات شأن ، فان له قيمة تاريخية واجتماعية فى الكشف عن التقاليد والعادات . وقد ترك الموريسكيون أثرهم فى اللغة الإسبانية وفى الشعر الإسبانى ، وفى الأفكار الدينية وغيرها . وأبرز آثارهم الدينية هى الكتب التى حاولوا أن يعرضوا فيها تعاليم الإسلام ، وفيها تمزج المثل الإسلامية بالمثل النصرانية ، أو تصور فى صورها ، وربما صور النبى العربى فى صور المسيح ، وجل آثارهم الدينية تمتاز بهذا المزيج الغريب الذى أملته ظروف العصر ، وروح المطاردة الدينية ، ورهبة ديوان التحقيق .

بيد أن الآثار الدينية التى خلفها الموريسكيون، تنم فى معظمها، عن بغضهم للنصرانية ومثلها وتقاليدها (١) .

— ٣ —

وقد أبدت السياسة الإسبانية اهتماماً خاصاً بالقضاء على تراث الأندلس الفكرى. وبدأت بارتكاب جريمتها الشائنة فى سنة ١٤٩٩م أعنى لأعوام قلائل من سقوط غرناطة، فجمعت الكتب العربية وأحرقت حسبما فصلنا من قبل(٢). ولم تبق معاول التعصب والجهالة إلا على بقية صغيرة من الكتب العربية، جمعت فيما بعد من مختلف الأنحاء، وأودعت أيام فيليب الثانى فى قصر الإسكوريال الذى أنشأه هذا الملك على مقربة من مدريد، وحجبت عن كل باحث ومتطلع. وفى أوائل القرن السابع عشر، وقع حادث كان سبباً فى مضاعفة المجموعة العربية الإسبانية. ذلك أن السفن الإسبانية استطاعت أن تأسر مركباً مغربية لمولاى زيدان ملك مراكش، مشحونة بالتحف، وبها ثلاثة آلاف سفر من كتب الدين والأدب والفلسفة وغيرها. وتقول الرواية الإسبانية إن هـذا الحادث وقع فى عصر فيليب الثالث، والظاهر أنه وقع نحو سنة ١٦٢٠م، حينما اشتد اضطراب العلائق بين اسبانيا والمملكة الشريفية(٣). وقد حملت هذه المجموعة النفيسة من الكتب العربية إلى اسبانيا، وأودعت قصر الإسكوريال، إلى جانب بقية التراث الأندلسى، التى كانت مودعة فيه منذ أيام فيليب الثـانى. وكانت مجموعة مولاى زيدان المغربية تحتوى بلا ريب على عـدد كبير من الكتب الأندلسية التى كثر استنساخها، واقتناؤها بالمغرب، بعد سقوط غرناطة.

ولبثت هذه المجموعة من المخطوطات العربية الأندلسية مودعة بمكتبة الإسكوريال الملكية حتى أواسط القرن السابع عشر، وكانت تبلغ يومئذ عدة آلاف، وكانت أغنى وأنفس مجموعة من نوعها باسبانيا. ولكن محنة جديدة أصابت هذه البقية

---

(١) راجع كتاب Los Moriscos Espagnoles y su Expulsun لمؤلفه D. Pascual Boronat الفصل الثالث عشر ص ٣٨٤ و ٣٨٦ و ٣٨٩ .

(٢) راجع ص ٢٢٩ من هذا الكتاب.

(٣) راجع الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى للسلاوى ج ٣ ص ١٢٨ ؛ وراجع كتابى « تراجم إسلامية » فى ترجمة المقرى ص ٢٥٣ .

الباقية من تراث الأندلس . ففى سنة ١٦٧١ شبت النار فى الإسكوريال ، والتهمت معظم هذا الكنز الفريد ، ولم ينقذ منه سوى ألفين . وكانت الحكومة الإسبانية أثناء هذه العصور تحرص على إخفاء الآثار العربية عن كل قارئ وباحث ، كأنما كانت تخشى أن تتسرب روح التفكير الإسلامى إلى تفكير اسبانيا النصرانية ، بعد أن بذلت لقتل هـذا الروح كل وسيلة ممكنة . وكان الكتاب الإسبان أنفسهم ، تحملهم نزعة الدين والجنس يعرضون عن كل بحث وتنقيب فى هذه المصادر النفيسة ، التى تلقى أكبر ضوء على تاريخ اسبانيا المسلمة وحضارتها فى العصور الوسطى ، ويكتفون فى كتابة هذه المرحلة الطويلة الباهرة من تاريخ بلادهم ، بالرجوع إلى المصادر الإسبانية التى تفيض بالتحامل والتعصب . ولم تفق الحكومة الإسبانية من جمودها ، ولم تفكر فى تنظيم تراث الأندلس الفكرى والتعريف به ، قبل أواسط القرن الثامن عشر ، فعندئذ انتدبت عالماً شرقياً يجمع بين الثقافتين الشرقية والغربية ، هو ميخائيل الغزيرى اللبنـانى ، الذى يعرف فى الغرب باسم كازيرى Casiri وعهـدت إليه بدرس الآثار العربية ، ووضع فهرس جامع لها . وكان الغزيرى بنشأته وثقافته الشرقية رجل المهمة ، فلبى دعوة الحكومة الإسـبانية ، وعين فى سـنة ١٧٤٩ مديراً لمكتبة الإسكوريال ، وأنفق هنالك بضعة أعوام يدرس المخطوطات العربية ويحققها ، ثم بدأ بوضع فهرسه الجامع الذى عهد إليه بوضعه . وفى سنة ١٧٦٠ صدر الجزء الأول من هذا الفهرس باللاتينية بعنوان Bibliotheca Arabico - Hispana Escurialensis « المكتبة العربية الإسـبانية فى الإسكوريال » ؛ وصدره الغزيرى بمقدمة طويلة تحدث فيها عن قيمة هذه المخطوطات العربية وأهميتها ، وقسم هـذه الآثار إلى عدة فنون ، وبدأ بكتب اللغة وعلومها ، ثم الشعر وأبوابه ، ثم الفلسفة وما يتعلق بهـا ، ثم الأخلاق فالطب والتاريخ الطبيعى ، فالرياضة والهندسة والفلك ، فالفقه وعلوم الدين والقرآن ، وهى تشمل أكبر مجموعـة . ثم الآثار النصرانيـة . وتبلغ محتويات هذا الجزء الأول من الفهرس ١٦٢٨ مجلداً . وفى سنة ١٧٧٠ ظهر الجزء الثانى من الفهرس ، محتوياً على كتب الجغرافيا والتاريخ ومنتهياً برقم ١٨٥١ ، وهو جملة ما أثبته الغزيرى فى فهرسه .

وكان أهم ما اتجهت إليه الأنظار بعـد ظهور معجم الغزيرى ، هو التنقيب

فى مجموعة الإسكوريال عن الروايات العربية المتعلقة بتاريخ اسبانيا المسلمة، وسياسة الحكومات الإسلامية، وخواص المجتمع الإسلامى . فعنى طائفة من الباحثين الإسبان فى أواخر القرن الثامن عشر ومنهم أندريس وماسدى : ببحث تاريخ العلوم والآداب العربية، فأخرج أندريس كتابه عن « أصول الأدب » وأخرج ماسدى مؤلفه عن « تاريخ الحضارة الإسبانية » (١) . ثم جاء العلامة كوندى فوضع لأول مرة تاريخاً لاسبانيا المسلمة (٢)، يعتمد فيه على الروايات العربية . وظهر هذا المؤلف بين سنتى ١٨١٠ و ١٨١٢ . وبالرغم من أن مؤلف كوندى يحتوى على كثير من الأخطاء التاريخية ، فقد كان أول مجهود غربى من نوعه يعرض للغرب قضية العرب فى اسبانيا من الناحية العربية، وفيه يقف الغرب لأول مرة على وجهات النظر الأندلسية . وخواص النظم والسياسة الإسلامية . ويبدى كوندى فى كثير من المواطن حماسة فى الدفاع عن العرب ؛ والإشادة بخلالهم ومواقفهم وحضارتهم ، ويصدر فى بعض المواطن أشد أحكام على أمته وسياسة مواطنيه .

وأخذت المصادر العربية الأندلسية ، تمثل من ذلك الحين فى كل بحث يتعلق بتاريخ الأندلس . وكان العلامة المستشرق الهولندى رينهارت دوزى أعظم باحث غربى ، توفر على دراسة التاريخ الأندلسى ، ودراسة مصادره العربية والغربية ، وكتابه القيم « تاريخ المسلمين فى اسبانيا حتى فتح المرابطين » (٣)، من أنفس ما كتب فى هذا الباب . وتوالت بعد ذلك جهود الباحثين الغربيين فى دراسة تاريخ اسبانيا المسلمة وكتابته . وصدرت بعد كتاب دوزى خلال القرن الماضى فى هذا الموضوع ، عدة كتب قيمة، إسبانية وإنجليزية وفرنسية وغيرها، يمتاز الكثير منها بدقة البحث وروح الإنصاف .

وقام المستشرق الفرنسى هارتفج ديرنبور فى أواخر القرن الماضى ، بدراسة جديدة للمجموعة الأندلسية بالإسكوريال ، ووضع لها فهرساً جديداً بالفرنسية عنوانه، المخطوطات العربية فى الإسكوريال » Les Manuscrits Arabes de l'Escurial

---

(١) Historia critica de Espana y de la cultura espanola

(٢) Historia de la Dominaçion de los Arabos en Espana

(٣) Histoire des Musulmans d'Espagne jusqu'à la Conquête de l'Andalousie par les Almoravides

نحا فيه نحو الغزيرى فى ترتيبـــه وترقيمه ، وعثر على نحو مائة مخطوط أخرى لم يثبتها الغزيرى فى معجمه . بيد أنه لم يصدر من هذا الفهرس الجديد سوى جزئين يشتملان على كتب اللغة والبلاغة والشعر والأدب والفلسفة والأخلاق والسياسة . وأصدر الأستاذ ليفى بروفنسال بعد وفاة ديرنبور جزءاً ثالثاً من هذا الفهرس مشتملا على كتب الدين والجغرافيا والتاريخ . ومازال هذا الفهرس الجديد لمجموعة الإسكوريال الأندلسية ، ينقصـــه استعراض كتب الطب والتاريخ الطبيعى والرياضة والفقه ، كما ينقصـــه ذكر الكتب التى غابت عن الغزيرى وعددها نحو مائة كتاب .

وقد كان التنقيب فى تراث الآثار الأندلسية ، والتعريف بها على هذا النحو ، فتحاً عظيما فى تاريخ اسبانيا المسلمة ، وتاريخ الحضارة الإسلامية . فقد كان الغرب حتى أواخر القرن الثامن عشر ، لا يعرف من هذا التاريخ سوى ما تعرضه الرواية الإسبانية من شذور مغرضة ، وكانت مئات من الحقائق تغمرها حجب التعصب والتحامل ، فجاءت وثائق الإسكوريال تبدد هذه الحجب ، وتقدم الأدلة الساطعة على عظمة هذه الصفحة من تاريخ اسبانيا ، وتعرض لنا مئات الحقائق عن تفوق الحضارة الأندلسية ، ومبلغ ما وصلت إليه من الإزدهار والتقدم .

— ٤ —

بقى أن نتحدث عن الفن فى الأندلس ، وسيكون حديثنا عن ذلك عاماً . ذلك أن الفن فى مملكة غرناطة آخر دول الإسلام بالأندلس ، لم يكن سوى المرحلة الأخيرة لسير الفن الأندلسى .

وقد نشأ الفن الإسلامى فى البداية نشأة متواضعة . ونريد بالفن هنا معناه الدقيق الخالص . فالتصوير والنحت والنقش والزخرفة والموسيقى والغناء وما إليها ، مما ينعت فى عصرنا بالفنون الجميلة ، يقع تحت هذا المعنى . بيد أن هنالك معنى أوسع للفن . فقد يشمل فنون الهندسة والعمارة وما إليها ، ولابأس من أن نعامله بهذا المعنى الأعم فى الوقت نفسه . وهذه النشأة المتواضعة للفن الإسلامى ترجع بالأخص إلى عوامل دينية . فقد نشأ الإسلام خصيم الوثنية ، يضطرم بغضاً لمظاهرها ورسومها ، وقـــد كان النحت والتصوير والنقوش الرمزية ، وقت ظهور الإسلام من مظاهر الوثنية ورسومها البارزة ، فكان الإسلام يخاصمها ويطاردها . ولم يشأ الإسلام أن يفسح

صدره لهذه المظاهر والرسوم كما فعلت النصرانية . حيث اعتنقتها وشملتها برعايتها ، وازدانت بها كنائسها وهياكلها العظيمة منذ القرن الأول للميلاد . ثم غدت فيما بعد مثاراً للخلاف الطائفي ، واعتبرت رمزاً لعبادة الصور ، وثارت حولها تلك المناقشات والخصومات البيزنطية الشهيرة . بيد أن هذه الخصومة التي شهرها الإسلام في عصره الأول على التماثيل والصور ، رموز الوثنية ومظاهرها ، لم تلبث أن خفت وطأتها منذ القرن الثاني للهجرة . حينما قامت الإمبراطورية الإسلامية ، وأنشئت في أرجائها الهياكل الإسلامية العظيمة ، وبدت الخلافة في عظمتها الدنيوية ، وأخذت بقسطها من الترف والبهاء والبذخ . عندئذ عنى الخلفاء بالفنون وازدانت قصورهم ومعاهدهم وحدائقهم ، بمظاهر الفن الرفيع ، واعتمد على الاقتباس بادىء بدء من تراث الفنون الفارسية واليونانية والرومانية والبيزنطية بنوع خاص ، واقتبس عرب الأندلس أيضاً من تراث الفن القوطي . ولم يمض بعيد حتى امتزج الإقتباس بالابتكار ، وبدأ الفن الإسلامي في مظاهره المستقلة . وبلغ منذ القرن الثالث للهجرة ، سواء في بغداد أو قرطبة مستوى رفيعاً من الروعة والبهاء . وبرع العرب في صنع الزخارف والنقوش والرسوم والصور الدقيقة ، وانتهوا في الموسيقى إلى ذروة الافتنان والبراعة ، وازدهر الفن الإسلامي في المشرق والمغرب أيما ازدهار .

وبلغ الفن الإسلامي في الأندلس أوج ازدهاره في القرن الرابع الهجري . ويجب أن نلاحظ أن عرب الأندلس كانوا أسبق الأمم الإسلامية إلى صنع التماثيل والصور ، وقد زينوا قصورهم ومعاهدهم منذ القرن الثالث ، بالتماثيل والصور والنقوش ، التي تمثل الحيوان والنبات والطير . أما التماثيل والصور البشرية ، فكانت تلقى نوعاً من التحريم العام . وفي عصر عبد الرحمن الناصر ( ٣٠٠ — ٣٥٠هـ ) خطا الفن الأندلسي خطوة أخرى ، فصنعت التماثيل والصور البشرية ، وزينت بها القصور والمعاهد الخلافية ، وكما أن عصر الناصر كان أعظم عصور الدولة الإسلامية في الأندلس ، فكذلك كان أعظم عصور الفن الأندلسي .

وقد كان قصر قرطبة الكبير حتى عهد الناصر ، موضع العناية والرعاية من جميع أمراء بني أمية ، وكان مجمع البهاء والرواء والفن . ولكن الناصر آثر أن ينشىء له ضاحية ملوكية جديدة ، تكون آية في الفخامة والبهاء ، فأنشأ مدينة الزهراء وقصورها

ومعاهدها الباهرة ، وأفاض عليها من ألوان البذخ والبهاء ، وبدائع الفن والزخرف ، آيات رائعات . وكانت نقوش الزهراء ورسومها وتماثيلها ، أبدع ما أخرج الفن الإسلامى فى الأندلس . ولا يتسع المقام للإفاضة فى وصف عظمة الزهراء وروائعها الفنية ، فنحيل القارىء إلى ما أورده صاحب نفح الطيب فى هذا الشأن من مختلف الروايات والفصول (١) . ولكنا نخص بالذكر هنا مثلين رائعين من آيات الفن الباهر ، التى زينت بها قصور الزهراء ، فمن ذلك أسد عظيم الصورة بديع الصنعة شديد الروعة ، لم يشاهد أبهى منه فيما صنع الملوك الأوائل ، مطلى بالذهب ، وعيناه جوهرتان لهما ضوء ساطع ، قد أقيم على بحيرة قصر الناعورة ، يجوز الماء إلى مؤخره من قناة تحمل إليه الماء العذب ، من جبل قرطبة على حنايا معقودة ، فيدفع الماء إلى البحيرة فى منظر رائع (٢) . ومن ذلك الحوض البديع الذى جلبه الناصر لاستحمامه ، وأقيم عليه اثنا عشر تمثالا من الذهب الأحمر ، مرصعة بالدر النفيس مما صنع بدار الصناعة بقرطبة : أسد إلى جانبه غزال ثم تمساح ، يقابلها ثعبان وعقاب وفيل ، وفى الجانبين حمامة وشاهين وطاووس ودجاجة وديك وحدأة ونسر ، كلها من ذهب مرصع بالجوهر النفيس ، وتخرج الماء من أفواهها (٣) . وهنا أيضاً أعنى فى عصر الناصر ، نرى لأول مرة فيما يظهر ، تماثيل الإنسان وصوره تمثل فى الفن الأندلسى ، إلى جانب تماثيل الحيوان وصوره . فيروى أن الناصر أمر أن تنقش صورة جاريته وحظيته « الزهراء » على باب قصر الزهراء ، وهذه الجارية فيما يروى هى التى حملته على بناء الزهراء وتسميتها باسمها (٤) . وزينت أبهاء الزهراء بتماثيل وصور بشرية (٥) . فكانت ظاهرة فنية جديدة .

وبلغ الفن الأندلسى فى عصر الناصر وابنه الحكم المستنصر ، ذروة القوة والبهاء . وما زالت أسبانيا النصرانية تحتفظ ببعض تحف فنية نادرة من تراث ذلك العصر ، منها

---

(١) نفح الطيب ج ١ ص ٢٤٥ و ٢٤٦ و ٢٦٤ — ٢٦٦ ؛ وابن خلدون ج ٤ ص ١٤٤ ؛ وراجع Murphy : Mohamedan Empire in Spain. p. 167—174

(٢) نفح الطيب ج ١ ص ٢٦٤ .

(٣) نفح الطيب ج ١ ص ٢٦٤ .

(٤) نفح الطيب ج ١ ص ٢٤٥ .

(٥) نفح الطيب ج ١ ص ٢٦٥ و Murphy ; ibid, p 292

وعل الزهراء الشهير . وهو تمثال وعل من البرونز زين جسمه بالنقوش والزخارف العربية البديعة . وتاج عمود من المرمر به زخارف دقيقة مدهشة ، وقد نقش عليه اسم الحكم المستنصر بالله واسم حاجبه . وكلاهما بمتحف قرطبة ؛ وصندوق من العاج البديع نقشت عليه صور فرسان وأسود آية فى الدقة ، وذكر عليه اسم صاحبه وهو عبد الملك بن أبى عامر ولد الحاجب المنصور . ويحفظ بكنيسة بنبلونة الكبرى(١) . وقد برع الأندلسيون فى الصناعات الفنية الدقيقة ، مثل صناعة الحلى الفائقة والتحف العاجية والجلدية ، ونافسوا فيها صناعة بيزنطية (٢) . وكانت القصور والمعاهد العامة والمساجد الجامعة ، معرضاً لأبدع ماتمخض عنه الفن الرفيع يومئذ من صنوف الزخارف والرسوم والتحف الفنية . ومن ذلك أنه كان بجامع قرطبة تنور من نحاس أصفر يحمل ألف مصباح ، وقد زين بصور ونقوش رائعة ، يعجز عن وصفها القلم (٣) . وقد امتازت المدرسة المحافظة بالتفوق فى نوع جديد من الزخارف ، يقوم على رسوم الشجر والأوراق والأغصان والأشكال المتماثلة المبتكرة دون الصور التى تمثل الإنسان والحيوان ؛ ذلك لأنها كانت تقوم على احترام التقاليد الدينية القديمة . واشتهرت هذه المدرسة فى العصور الوسطى ، وكان لها أثر عميق فى تطور الفن الأوربى ، ومازالت تعرف بالنماذج العربية ( الأرابسك ) (٤) .

وسطع الفن الأندلسى أيام الطوائف مدى حين ، ونشر ملوك الطوائف ولاسيما بنو عباد فى إشبيلية ، وبنو ذى النون فى طليطلة حولهم آيات من البذخ والترف والبهاء . وأغدقوا على قصورهم ومعاهدهم بدائع الفن وروائعه ، مما أفاض فى وصفه المؤرخون والكتاب والشعراء . وكان بنو عباد فى إشبيلية أعظم حماة للفنون والآداب . وكان قصر المأمون بن ذى النون ملك طليطلة آية رائعة من آيات الفن والبهاء ، وكان روشنه الشهير الذى بنى وسط بحيرة القصر ، من الزجاج الملون المزين بالنقوش الذهبية ، مستقى خصباً لخيال الشعراء ، وكانت حافة البحيرة مزدانة بصفوف من تماثيل الاسود

(١) Lévy - Provençal : L'Espagne Musulmane au Xème Siécle pl. XXII, XXIII , XXXIV.

(٢) Lévy-Provençal, ibid, p. 189

(٣) نفح الطيب ٣ ص ٢٤٥ .

(٤) Murphy ; ibid, p. 291 — Aschbach : Geschichte der Omajaden in Spanien ;

التى تقذف الماء من أفواهها ، وهى لاتزال تقذف الماء ولا تفتر ، وتنظم لآلئ الحباب بعد ما نثر[١] . وكان للمقتدر بن هود ملك سرقسطة فى قصره ، مجلس رائع زينت جدرانه بالنقوش والتحف الذهبية البديعة[٢] . ولم يكن هذا الهوى الفنى قاصراً على الأمراء والكبراء ، فقد روى لنا المقرى أنه كان ببعض حمامات إشبيلية تمثال بديع الصنع ، قال فيه الشاعر :

ودمية مرمر تزهو بجيـــد تناهى فى التورد والبياض
لهـا ولد ولم تعرف حليلا ولا ألمت بأوجاع المخاض
ونعلم أنهـا حجر ولكن تتيمنا بألحاظ مـراض

وفى عهد المرابطين والموحدين خبت دولة الفن الإسلامى فى الأندلس . ذلك لأن أولئك الغزاة البربر ، الذين كانوا يضطرمون بروح دينية محافظة ، لم يقدروا روعة الفن الرفيع وسحره ، ولم تفسح لهم الثورات والحروب الداخلية ، مجالا لرعاية الفنون والآداب .

وازدهرت الفنون والآداب كرة أخرى فى مملكة غرناطة . وكان بنو الأحمر حماة كرماء للفنون . ونلاحظ أن الفن الأندلسى بلغ فى هذا العصر ذروة التحرر والافتنان أيضاً ، وتوسع الفنانون المسلمون فى تصميم المناظر والرسوم . ولم يقتصر الأمر على الصور والرسوم والتماثيل المفردة ، بل تعداه إلى المناظر المصورة ، وإلى المجموعات المنحوتة . وما زالت حمراء غرناطة ، وما زالت أبهاؤها ومجالسها الرائعة ، تنبئ عما انتهت إليه آخر دول الإسلام فى الأندلس من البذخ والبهاء ، وعما بلغه الفن الأندلسى فى هذه المرحلة الأخيرة من حياة الإسلام فى اسبانيا ، من الدقة والافتنان . وسوف يبقى قصر الحمراء ، وما يحتويه من النقوش والزخارف والصور الرائعة ، رمزاً خالداً لعظمة الفن الإسلامى فى الأندلس . وفى الحمراء : فى قاعة الحكم ، وفى بهو الأسود ، وفى قاعة السفراء ، وفى غيرها من الأبهاء المنيفة ، زينت الجدران بمجموعات كاملة من المناظر المصورة ، ومن ذلك صور لمجلس الحكم ، وصور تمثل موقعة حربية ، وكوكبة من الفرسان ، ومناظر فروسية وصيد وغيرها .

---

(١) نفح الطيب ج ١ ص ٢٤٧ و ٢٨٢ ؛ وقلائد العقيان للفتح بن خاقان ص ١٩٤ و ٢٩٥ .
(٢) نفح الطيب ج ١

نعرض بعد ذلك لناحية أخرى من الفن الإسلامى فى الأندلس هى الموسيقى . وقد كان للموسيقى بين فنون الحضارة الإسلامية أيما شأن ، وكان ازدهارها بالأخص فى بغداد وقرطبة ، حيث بلغت حضارة الإسلام ذروة العظمة والنضج ، وكان ازدهارها فى عصر مبكر جداً منذ أواخر القرن الثانى للهجرة ؛ فى ظل الدولة العباسية الفتية . وفى هذا الوقت نفسه انتقل إلى الأندلس قبس من هذه النهضة المشرقية ، فنزح زرياب الموسيقى غلام الموصليين[١] أساطين الموسيقى والغناء لهذا العهد ، إلى الأندلس فى عصر عبد الرحمن بن عبد الحكم (أوائل القرن الثالث) ، فاستقبله بنفسه وبالغ فى إكرامه ، وأغدق عليه العطف والبذل . وكان زرياب موسيقياً عظيما ومغنيا ساحراً ، فذاع فنه فى الأندلس والمغرب ، وأنشأ بالأندلس مدرسة موسيقية وغنائية باهرة ، استطال نشاطها وأثرها حتى عصر الطوائف ، وازدهرت أيام الطوائف فى إشبيلية فى ظل بنى عباد بنوع خاص[٢] . وسطع فى مملكة غرناطة قبس من هذه النهضة ، واشتهرت الموسيقى الأندلسية فى غرب أوربا فى العصور الوسطى ، وكان لها أثرها فى تطور الموسيقى الغربية . وبرع المسلمون فى العزف على كثير من الآلات الموسيقية المعروفة حتى اليوم ، واخترعوا الكثير منها ولاسيما « القيثارة » التى كانوا يعتبرونها أجمل الآلات الموسيقية . وكان للموسيقى الأندلسية أثر كبير فى تطور الموسيقى الإيطالية القديمة ، ولا زالت آثار من الأوضاع والتقاليد الموسيقية الأندلسية تمثل فى الموسيقى الإسبانية الحديثة[٣] .

وقد كانت الأمة الأندلسية أمة مرهفة الشعور والحس ، تعشق الفن الجميل ، وتحب الحياة الناعمة المترفة ، وتجنح إلى المرح والطرب . وقد وصف لنا ابن الخطيب لمحة من هذا الترف ، الذى كان عنواناً لحياة الأمة الأندلسية فى عصورها الأخيرة ، وذكر لنا كيف كان الشعب يعشق الغناء والموسيقى ، وكيف كانت غرناطة تموج بالملاهى الغنائية التى يؤمها الشعب من سائر الطبقات . وقد اشتهر الرقص الأندلسى بجماله وافتنانه فى مجتمعات العصور الوسطى ، وما زال شعب غرناطة المرح الطروب مقبلا خلال كفاحه الطويل ، على حياته المترفة الناعمة ، حتى أصبح العدو على الأبواب .

---

(١) ابراهيم الموصلى وولده اسحاق وولده حماد .

(٢) ابن خلدون ، المقدمة ص ٣٥٧ ؛ ونفح الطيب ج ٢ ص ١٠٩ وما بعدها

(٣) Murphy, ibid; p. 296, Aschbach, ibid, B. II. p. 353

وللأندلسيين آثار قيمة فى الموسيقى العلمية والعملية . وفى مكتبة الإسكوريال مخطوط عربى نفيس عن الموسيقى وعناصرها ومبادئها وأوضاعها وأنغامها ، وكذلك عن الآلات الموسيقية المختلفة وأشكالها وتراكيبها (١). وهو دليل على مابلغه المسلمون فى هذا الفن من الرسوخ والابتكار .

وقد يرى بعض الباحثين الغربيين أن الأندلسيين تلقوا معظم تراثهم الفنى ، عن الفن النصرانى . وفى هذا الرأى مبالغة ، فقد اقتبس الأندلسيون من فنون القوط والفرنج والبيزنطيين والبنادقة ، ولكنهم كانوا مبتكرين أيضاً ، وكانوا منشئين لفن إسلامى محض ، بما أسبغوه عليه من ألوان الافتنان الرائع التى اختصوا بها . وتميز بها تراثهم الفنى مدى الأحقاب .

* * *

وكما أبقى لنا الزمن على بقية من تراث الأندلس الفكرى ، مازالت تحتفظ بها اسبانيا النصرانية ، فكذلك مازالت تقوم إلى يومنا فى اسبانيا طائفة من الآثار الأندلسية الخالدة ، مثل جامع قرطبة الذى مازال رغم تحويله إلى كنيسة جامعة ، يعتبر من أعظم نماذج العمارة الإسلامية الإسبانية ، وقصر إشبيلية ، وحمراء غرناطة التى أتينا فيما تقدم على تاريخها ووصفها ، والتى مازالت أبراجها وأبهاؤها الملوكية الصامتة ، تعرض لنا كثيراً من روعتها القديمة . وكذلك يوجد إلى اليوم فى مختلف أنحاء الأندلس وقواعدها الذاهبة ، كثير من الأطلال الأندلسية الدارسة ، من صروح وقناطر وغيرها . وكلها تشهد بما كان لهذا الشعب النبيل الذكى ، من قدم راسخ فى ميدان العلوم والفنون ، وكلها تبدو بما يتجلى فيها من روعة أثرية ، ومن براعة علمية وفنية ، عنواناً لحضارة عظيمة .

---

(١) معجم الغزيرى (Casiri) ج ١ ص ٣٢٤ .

obeikandl.com

# ثبت المراجع

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقرى ( طبع القاهرة ) .
أزهار الرياض فى أخبار عياض للمقرى ( القاهرة ) .
تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر ( بولاق ) .
الإحاطة فى أخبار غرناطة لابن الخطيب ( القاهرة ) .
اللمحة البدرية فى تاريخ الدولة النصرية لابن الخطيب ( القاهرة ) .
الحلل الموشية فى الأخبار المراكشية لابن الخطيب .
أخبار العصر فى انقضاء دولة بنى نصر المنشور بعناية المستشرق مولر ( جوتنجن سنة ١٨٦٣ ) .
تاريخ قضاة الأندلس لأبى الحسن النباهى المنشور بعناية الأستاذ ليفى بروفنسال ( القاهرة ) .
قلائد العقيان للفتح بن خاقان .
صلة الصلة لأبى جعفر بن الزبير المنشور بعناية الأستاذ ليفى بروفنسال
تكملة الصلة لابن الأبار ( المكتبة الأندلسية ) .
الحلة السيراء لابن الأبار المنشور بعناية العلامة دوزى ( ليدن سنة ١٨٥١ ) .
الذخيرة السنية فى تاريخ الدولة المرينية لمؤلف مجهول ( الجزائر سنة ١٩٢٠ ) .
الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى للسلاوى ( القاهرة ) .
المؤنس فى أخبار إفريقية وتونس لابن دينار ( تونس ) .
الخلاصة النقية فى أمراء إفريقية لأبى عبد الله الباجى المسعودى ( تونس ) .
السلوك فى دول الملوك للمقريزى ( القاهرة ) .
صبح الأعشى للقلقشندى ( القاهرة ) .
فوات الوفيات لابن شاكر الكتبى ( بولاق ) .
تاريخ ابن إياس المسمى بدائع الزهور ( بولاق ) .
الروض المعطار لأبى عبد الله الحميرى المنشور بعناية الأستاذ ليفى بروفنسال (القاهرة).
معجم البلدان لياقوت الحموى ( القاهرة ).
رحلة ابن بطوطة ( القاهرة ) .

* * *

R. Dozy : Histoire des Musulmans d'Espagne jusqu'à la conquête des Almoravides (Lévy-Provençal 1932).

» : Recherches sur l'Histoire et Littérature de l'Espagne pendant le moyen-âge.

Gayangos : Mohamedan Dynasties in Spain.

( وهو ترجمة القسم التاريخى من كتاب نفح الطيب مع تعليقات وهوامش )

Condé : Historia de la Dominaçion de los Arabos in Espana.

W. Prescott : History of Ferdinand and Isabella the Catholic (London, Sonnenschein).

» : History of the Reign of Philip the Second (London 1855).

Scott : The Moorish Empire in Europe.

H. Ch. Lea : History of the Inquisition in Spain.

» » : History of the Moriscos of Spain; their Conversion and Expulsion (London 1901).

Don S. A. Llorente : Histoire Critique de l'Inquisition d'Espagne.

Owen Jones & Jules Goury : The Alhambra (London 1844).

W. Irving : A chronicle of the Conquest of Granada (Everyman's)

Lévy-Pevençal : L'Espagne Musulman au Xème Siècle.

Murphy : Mohamedan Empire in Spain.

Lane-Poole : The Barbary Corsairs.

» » : The Moors in Spain.

Aschbach : Geschichte der Omajaden in Spanien.

» : Geschichte Spanien's zur Zeit der Herrschaft der Almoraviden und Almohaden.

C. Brockelmann : Geschichte der arabischen Litteratur.

M. Casiri : Bibliotheca Arabico-Hispana Escurialensis.

Lafuente Alcantra : Historia di Granada.

Boronat, Don P. : Los Moriscos Espagnoles y su Expulsiun.

Gomez-Moreno : El Arte en Espana.

obeikandl.com

# فهـــرست

صفحة

مقـــدمة ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ٣

## الكتاب الأول

### مملكة غـــــرناطة

### منذ قيامها حتى عصر السلطان أبي الحسن

الفصل الأول : الأندلس الغاربة ... ... ... ... ... ... ... ١٠

الفصل الثانى : نشأة مملكة غرناطة وقيام الدولة النصرية ... ... ١٨

الفصل الثالث : طوائف الأمة الأندلسية فى عصر الإنحلال ... ... ٤١

الفصل الرابع : طبيعة الصراع بين الأندلس واسبانيا النصرانية ... ٥٠

الفصل الخامس : تاريخ اسبانيـا النصرانية منذ أوائل القرن الحادى عشر حتى قيام مملكة غرناطة ... ... ... ... ... ... ٦٠

الفصل السادس : مملكة غرناطة عقب وفاة ابن الأحمر وعصر الجهاد المشترك بين بنى الأحمر وبنى مرين ... ... ... ٧٠

الفصل السابع : مملكة غرناطة فى النصف الأول من القرن الثامن الهجرى ٩٠

الفصل الثامن : الأندلس بين المد والجزر ... ... ... ... ... ١٠٤

الفصل التاسع : تاريخ اسبانيا النصرانية منـذ قيام مملكة غرناطة حتى اتحاد مملكتى قشتالة وأراجون ... ... ... ... ١٢٦

## الكتاب الثـــانى

### نهـاية دولة الإسـلام فى الأندلس

الفصل الأول : الأندلس على شفا المنحدر ... ... ... ... ... ١٤٤

obeikandl.com

صفحة

الفصل الثانى : بداية النهاية ... ... ... ... ... ... ... ... ١٦٢
الفصل الثالث : الصراع الأخير ... ... ... ... ... ... ... ١٧٣
الفصل الرابع : ختام المأساة .. ... ... ... ... ... ... ... ١٩٧

## الكتاب الثالث

### مأساة الموريسكيين
### أو العرب المتنصرين

الفصل الأول : بدء التحول فى حياة المغلوب ... ... ... ... ٢٢٤
الفصل الثانى : ديوان التحقيق الإسبانى ومهمته فى إبادة الأمة الأندلسية ... ... ... ... ... ... ... ٢٣٦
الفصل الثالث : ذروة الإضطهاد وثورة الموريسكيين ... ... ... ٢٥٥
الفصل الرابع : توجس السياسة الإسبانية وعصر الغارات البحرية الإسلامية ... ... ... ... ... ... ... ٢٧٦
الفصل الخامس : مأساة النفى ... ... ... ... ... ... ... ٢٨٨
الفصل السادس : تأملات وتعليقات عن آثار المأساة .. ... ... ... ٣٠٢

## الكتاب الرابع

### نظم الحكم
### والحياة الإجتماعية والفكرية فى مملكة غرناطة

الفصل الأول : نظم الحكم فى مملكة غرناطة وخواصها الإجتماعية ... ٣١٦
الفصل الثانى : الحركة الفكرية فى مراحلها الأولى ... ... ... ٣٣٣
الفصل الثالث : عهد النضج والازدهار ... ... ... ... ... ٣٤٩
الفصل الرابع : العصر الأخير والآثار الباقية ... ... ... ... ٣٦٧

obeikandl.com

# فهرست الخرائط والصور

صفحة

١ — خريطة اسبانيا فى القرن الثالث عشر ... ... ... ... ... ٢١

٢ — خريطة اسبانيا فى القرن الرابع عشر ... ... ... ... ... ٦٣

٣ — خريطة مواقع حرب غرناطة الأخيرة ... ... ... ... ... ١٧٧

* * *

١ — فرديناند الكاثوليكى ملك أراجون ... ... ... ... ... ... ١٤٠

٢ — إيزابيلا الكاثوليكية ملكة قشتالة ... ... ... ... ... ... ١٤١

٣ — من زخارف بهو المدخل الرئيسى بقصر الحمراء ... ... ... ٢١١

٤ — فناء البركة وبرج قمارش ... ... ... ... ... ... ... ... ٢١٣

٥ — بهو الأسود أو كورة السباع ... ... ... ... ... ... ... ٢١٥

٦ — البهو الرئيسى بقصر جنة العريف ... ... ... ... ... ... ٢١٥

٧ — بهو بنى سراج ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ٢١٧

٨ — الإمبراطور شارلكان ... ... ... ... ... ... ... ... ... ٢٥٨

٩ — الملك فيليب الثانى ... ... ... ... ... ... ... ... ... ٢٦٣

١٠ — الملك فيليب الثالث ... ... ... ... ... ... ... ... ... ٢٩٣

obeikandl.com

# فهرس أبجدي للأعلام

( ا )

أبدة ؛ ١٣ و ٢٠ و ٢٤ و ٦٦ و ٧٦
ابراهيم بن سهل الاشبيلي ١٢ و ٣٢ و ٣٣٥
ابن أبي أصيبعة ؛ ٣٤٠
ابن الأبار ؛ ٢٦ و ٦٩ و ٣٣٤ و ٣٣٦ و ٣٣٧ و ٣٣٩
ابن الأزرق ، الاشبيهي ؛ ٣٦٩
ابن البيطار ؛ ٣٣٤ و ٣٤٠
ابن الجياب ؛ ٩٦ و ٣٢٣ و ٣٤٢ و ٣٤٥
ابن الجيان المرسي ؛ ٣٣٦
ابن الحكيم ؛ ٨٥ و ٨٧ و ٣٢٣ و ٣٤٢ و ٣٤٤
ابن الخطيب ، لسان الدين ؛ ١٥ و ١٦ و ٤٨ و ١٠٠ و ١٠١ و ١٠٥ و ١٠٦ — ١١٢ و ١٣١ و ١٤٥ و ٣٢٣ و ٣٢٩ و ٣٣٠ و ٣٤٢ و ٣٤٣ و ٣٤٨ و ٣٤٩ و ٣٥١ — ٣٦٠ و ٣٦١ و ٣٦٤ و ٣٦٥ و ٣٦٦
ابن الزبير ، أبو جعفر ؛ ٣١٧
ابن الشط ؛ ٣٤٢
ابن الطفيل ؛ ٣١٩
ابن الفخار ؛ ٣٤٧
ابن الفرضي ؛ ٣٢٠
ابن اياس ؛ ٦٥ و ١٦٦
ابن باجه ؛ ٣١٨
ابن بدرون ؛ ٣٢٠
ابن بسام ؛ ٣١٨
ابن بشكوال ؛ ٣٢٠
ابن بطوطة ؛ ١٠٠ و ١٠١ و ٣٥٠
ابن تومرت ، المهدي ؛ ٢٠ و ٣١٨
ابن جابر الضرير ؛ ٣٤٦
ابن جزي ، أبو القاسم ؛ ٣٤٧
ابن جزي ، أبو عبد الله ؛ ٣٥٠
ابن حبيب الاشبيلي ؛ ٣٢٠
ابن حريق ؛ ٣٣٤
ابن حزم ؛ ٣١٧
ابن حفصون ؛ ٤٧ و ٤٨
ابن حمدون الحميري ؛ ٣٣٤
ابن حيان ؛ ١١ و ٣١٧
ابن خاتمة ؛ ٣٤٤ و ٣٥١
ابن خلدون ؛ ٨١ و ٩١ و ١٠٥ و ١٠٧ و ١٠٨ و ١٣١ و ١٤٦ و ٣٥٤
ابن خميس ؛ ٣٤٤
ابن دينار ؛ ٢٩٨
ابن رشد ؛ ٤٧ و ٣١٩ و ٣٢٠
ابن زمرك ؛ ١١٢ و ١١٤ و ٣٤٢ و ٣٦١ و ٣٦٢ و ٣٦٤
ابن زهر ، عبد الملك ؛ ٣١٩ و ٣٤٠
ابن زيدون ؛ ٣١٧
ابن سعيد الاندلسي ؛ ٣٣٤ و ٣٣٩
ابن سلبطور ؛ ٣٥٠
ابن عبدون ؛ ٣١٧
ابن عبو ، مولاي عبدالله ؛ ٢٧٠ و ٢٧١ و ٢٧٣ — ٢٧٥
ابن عربي ، محيي الدين ؛ ٣٣٤ و ٣٣٩
ابن فرحون القرشي ؛ ٣٤٧
ابن فرحون ، برهان الدين ؛ ٣٦٥
ابن قزمان ؛ ٣١٨
ابن لب ؛ ٣٦٣ و ٣٦٤
ابن ليون ؛ ٣٤٨
ابن مرج الكحل ؛ ٣٥٠
ابن مردنيش ؛ ٤٨ و ٥٦ و ٥٧ و ١٥١ و ٣٣٠ و ٣٣٧

ابن المهنا ؛ ٣٦٦
ابن هود ؛ ٢٠ و ٢٣ ـ ٢٥ و ٢٧ ـ ٣٠ و ٣٣٣
أبو البقاء الرندى ؛ ٣٦ و ٣٧ و ٣٨ و ٣٣٧
أبو الحسن الباهلى ؛ ٣٦٨
أبو الحسن البسطى ؛ ٣٧٠
أبو الحسن القزارى ؛ ٣٤٧
أبو الحسن المرينى ، السلطان ؛ ٩٤ـ٩٨ و ١٠٠ و ١٠٢ و ١٣٠
أبو الحسن النباهى ؛ ٣٥٦ و ٣٦٥
أبو الحسن النصرى ، السلطان ؛ ١٤٧ و ١٤٨ و ١٥٠ ـ ١٥٤ و ١٥٦ و ٢٠٥
أبو العباس بن الرومية ؛ ٣٤٠
أبو القاسم الحسينى ، ٣٥٠
أبو القاسم بن سلمون ؛ ٣٦٥
أبو القاسم عبد الملك ؛ ١٨٣ و ١٨٤ و ١٨٥
أبو القاسم العزفى ؛ ٣٦ و ٨٦
أبو النعيم رضوان ؛ ٩٣ و ٩٥ و ٩٦ و ١٠٥ و ١٠٦ و ٣٢٣ و ٣٥٢
أبو الوليد اسماعيل ، السلطان ؛ ٨٩ و ٩٠ و ٩١ و ٩٢ و ٩٣ و ٢١٠
أبو الوليد اسماعيل ، الأمير ؛ ٣٤٢ و ٣٥٤ و ٣٦٤
أبو بكر الطرطوشى ؛ ٣١٨
أبو بكر بن عاصم ؛ ٣٦٧
أبو بكر بن عبد الملك بن زهر ؛ ٣٤٠
أبو ثابت المرينى ؛ ٨٦ و ٨٧
أبو جعفر العذرى ؛ ٣٦٠
أبو جميل زيان ، راجع زيان
أبو حيان الغرناطى ؛ ٣٤٥
أبو زكريا الاشبيلى ؛ ٣٢٦
أبو زكريا الحفصى ؛ ٢٦ و ٢٨ و ٦٩ و ٣٣٦
أبو سالم المرينى ؛ ٨٦ و ١٠٦ و ١٠٧ و ١٤٥ و ٣٥٣ و ٣٦١
أبو سعيد المرينى ؛ ٩١ و ٩٤ و ١١٦
أبو عبد الله الشيخ الوطاسى ؛ ١٩٩
أبو عبد الله محمد ، السلطان ؛ ١٤٩ ـ ١٥١ و ١٥٥ ـ ١٥٨ و ١٦١ و ١٦٢ و ١٦٥ و ١٦٧ و ١٧١ و ١٧٢ و ١٧٤ ـ ١٧٦ و ١٨١ و ١٨٣ و ١٨٤ و ١٨٧ و ١٨٩ و ١٩١ ـ ١٩٣ و ١٩٩ و ٢٠٢٠ ـ ٢٠٧ و ٢٢٥ و ٣٣٠ و ٣٧٠
أبو عنان ، السلطان ؛ ١٠٥ و ١٠٦ و ٣٥٠ و ٣٥٢
أبو فارس الحفصى ؛ ١١٨ و ١١٩
أبو مالك ؛ ٩٤ و ٩٦
أبو يحيى بن عاصم ؛ ٣٦٨
أبو يعقوب ، السلطان ؛ ٨٢ و ٨٣ـ٨٦
أبو يوسف ، المنصور ؛ ٥٧ و ٧٢ـ٧٦ و ٨٠ ـ ٨٣ و ١٢٧
أبو يوسف يعقوب : ٣٤ و ٣٨ و ٧٢ و ٧٧ و ٣١٩
أحمد الوطاسى ، السلطان ؛ ٢٠٧
أراجون ( الثغر الأعلى ) ؛ ١١ و ٤٣ و ٤٧ و ٥٤ و ٦٠ ـ ٦٢ و ٦٥ و ٦٨ و ١١٥ و ١٢١ و ١٣٠ و ١٣٧ و ١٣٨
أرجونة ؛ ٢٧ و ٢٨ و ٣١ و ٦٧
أردونو ؛ ٥٣ و ٥٦
أرشدونة ؛ ١٩ و ١٢٠
أريولة ؛ ١٣ و ٣٠ و ٣٣٦
آسبانيا ٤٥ و ٥٠ ـ ٥٥ و ٥٨ ـ ٦٢ و ٩٦ و ٩٩ و ١٤٠ و ١٤٢ و ١٤٦ ـ ١٤٩ و ٢٢٤ و ٢٢٥ و ٢٩١ و ٢٩٩ و ٣٠٢ و ٣٠٣ و ٣٠٥ و ٣٠٧ و ٣١٤
اسبينوسا ؛ ٢٦٤

أستجة ؛ ١٣ و ٣٥ و ٧٦
اسماعيل ، السلطان ؛ ١٠٦ و ١٠٨
اشبيلية ؛ ١٣ و ١٤ و ٢٠ و ٢٩ و ٣٢ و ٣٣ و ٤٢ و ٤٧ و ٦٦ و ٦٧ و ٧٧ و ٧٨ و ١٠٠ و ١٠٨ و ١٢٨ و ١٤٨ و ٢٤١ و ٢٤٩ و ٣٢٠ و ٣٢١
الأرك ؛ ١٢ و ٥١ و ٥٣ و ٦٢
الأسبتارية ؛ ٥٤ و ٥٥
الاسكندرية ؛ ١١٢ و ٣٢٨
الاسكوريال ؛ ٣٤٦ و ٣٥٩ و ٣٦٥ و ٣٦٧ و ٣٧٤ و ٣٧٥ و ٣٧٦ و ٣٧٧ و ٣٨٣
الأشرف شعبان ؛ ١١٢
الأشرف قايتباى ؛ ١٦٣ و ١٦٦ و ١٦٧ و ٣٦٩
الأيسر ، السلطان ١١٧ — ١٢١ و ١٤٩
البذول ؛ ١٧٥ و ١٩٣
البرتيه ، جبال ؛ ٥٧ و ٦٠ و ٦١ و ١٠٦ و ٣١٣
البشرات ؛ ١٧٥ و ١٧٩ و ١٨٣ و ٢٠٢ و ٢٦٥ و ٢٦٨ و ٢٦٩
البلوى ؛ ٣٤٨
البندقية ؛ ٢٨١ و ٣٢٨
البيازين ، ربض ؛ ١٦ و ٩٦ و ١٥٧ و ١٦٠ و ١٦١ و ٢٦٥ و ٢٦٧ و ٣٦١
البيرة ؛ ١٤ و ٤١ و ٥٣ و ٦٨ و ٩١ و ٩٢ و ١٠٩
الجزائر الشرقية ؛ ٦٨ و ١٣٦ و ٢٨٤
الجزيرة الخضراء ؛ ٧٥ و ٧٧ و ٨١ و ٨٤ و ٨٨ و ٨٩ و ٩١ و ٩٤ و ٩٧ و ٩٩ و ١٣٠ و ١٥٩ و ٣٢٥
الحاجب المنصور ؛ ٥٣
الحامه ٤١ و ١٥٣ و ١٦٢
الحكم بن هشام ؛ ٤٧
الحكم المنتصر ؛ ٣١٧ و ٣٧٩
الحمراء ، قصر ؛ ١٦ و ٣٩ و ١٠١ و ١٠٢ و ١٠٦ و ١١٢ و ١١٣ و ١٢١ و ١٥٢ و ١٥٥ و ١٧٤ و ١٨٢ و ١٨٨ و ١٩٠ و ١٩١ و ٢٠٨ — ٢٢٠ و ٢٦٥ و ٣٢٢ و ٣٢٥ و ٣٦٢ و ٣٨١ و ٣٨٣
الحميدى ؛ ٣١٧
الداوية ؛ ٥٤ و ٥٥
الزغل ، أبو عبد الله محمد ؛ ١٤٧ و ١٤٨ و ١٥٤ — ١٥٨ و ١٦١ — ١٦٣ و ١٦٧ و ١٧١ و ١٧٤ و ١٧٦ و ١٩٩ و ٢٠٥
الزلاقة ؛ ١٢ و ٥١ و ٥٣ و ٦٢ و ٧٦ و ١٠٢
الزهراء ؛ ٣٧٩ و ٣٨٠
السيد أبو عبد الله ؛ ٣٢ و ٦٧
السيد الكمبيادور ؛ ٥٦
الشريف العقيلى ، محمد بن عبد الله ؛ ٢٠٠ و ٣٤٢ و ٣٧٠ و ٣٧١
الشيخ ، أبو عبد الله ؛ ١٩٩
الشيخ ، المأمون ؛ ٢٨٧
الصالح ، الملك ؛ ٩٨
الصخرة ؛ ١١٥ و ١٤٨
العقاب ؛ ١٢ و ٥١ و ٥٧ و ٦٢ و ٧٢ و ٧٦ و ٩٧
الغزالى ؛ ٣١٨
الغزيرى ؛ ٣٧٥ و ٣٧٧
الفتح بن خاقان ؛ ٣١٧ و ٣١٨
الفرنتيره ؛ ٣١ و ٥٧ و ٧٦
الفونسو الأول ( المحارب ) ؛ ٤٦ و ٥٤ و ٦١
الفونسو العاشر ، الحكيم ؛ ٣٠ و ٣١ و ٣٥ و ٤٢ و ٥٧ و ٧١ و ٨٠ و ٨١ و ١٢٧ و ١٥٩

الفونسو الحادى عشر ؛ ٩١ و ٩٤ و ٩٦ و ١٢٩ و ١٣٠ و١٣٢
الفونسو الثالث ، ملك أراجون ؛ ١٣٣ و ١٣٥
الفونسو الرابع ؛ ١٣٥
الفونسو الخامس ؛ ١٣٧
الفونسو السادس ؛ ٥١ و ٥٦
الفونسو ريموندیز ؛ ٥٥ و ٥٧ و ٦٢
الفونسو هنريكز ؛ ٦٢
الفونسو ملك البرتغال ؛ ١٣٩ و ١٤٠
القادر بن ذى النون ؛ ٥٦
القاهرة ؛ ٩٨ و ١٦٥ و ١٦٩ و ٣٦٩
اللسانه ؛ ١٥٥
المأمون بن ذى النون ؛ ٥٦ و ٣٨٠
المدجنون ؛ راجع حرف م
المرج ، ( لافيجا ) ؛ ١٥ و ٤٦ و ١١٣ و ١٢٠ و ١٧٦ و ١٧٩ و ١٨٢ ٣٢٧ و ٣٢٨
المرية ؛ ٢٤ و ٢٨ و ٤١ و ٤٤ و ٨٨ و ٨٩ و ٩٣ و ٨٦ و ١٢١ و١٦٥ و ١٧٠ و ١٧٤ و ١٧٦ و ١٩٩ و ٢٨٣ و ٣٢١
المقرى ؛ راجع حرف م
المنكب ؛ ٧٩ و ٨١ و ٨٧ و ١٥٦ و ١٧٠ و ١٧٦
الناصر ، سلطان مصر ؛ ٩٨
الوادى آشى ، أبو عبد الله الحداد ؛ ٣٦٩ و ٣٧٠
الينورادى كزمان ؛ ١٣٠ و ١٣١
انتكيره ؛ ٤١ و ١١٦
اندرش ؛ ١٧٦ و ٨٦ او ١٩٩
اندريس ؛ ٣٧٦
أندلس ؛ ١٠ و ١١–١٣ و ٣٠ و ٣١ و ٣٦ و ٤١ و ٤٦ و ٤٧ و ٥٠ – ٥٤ و ٥٧ و ٦١ و ٧٣ و ٨١ ٩٩ – ١٠٣ و ١٠٥ و ١٤٥ و ١٦٥ و ١٦٧ و ١٧٠ و ١٩٨ و ٢٠٥ و ٢٦٧ و ٢٨٢ و ٢٩٥ و ٣١٣ و ٣١٧ و ٣٢٦ و ٣٢٩
انفاط ؛ ١٥٤ و ١٥٨ و ١٥٩
انوسان الربع ( البابا ) ؛ ٤٣ و ٤٤ و ٤٥
أوتودافى ؛ ٢٤٦ و ٢٧٧
أوروج ؛ ٢٨٣
أيدين ريس ؛ ٢٨٤
ايزابيلا ، الكاثوليكية ؛ ٥٨و٥٩و١٣٣ و ١٣٤ و ١٣٨ – ١٤٢ و ١٤٨ و ١٦٤ و ١٦٩ و ١٧٠ و ١٧٣ و ١٧٤ و ١٨٠ و ١٩٣ و ١٩٧ و ٢٢٦ و ٢٣٢ و ٢٣٩ و ٢٤٠ و ٢٦٠ و ٣١٢

( ب )

باديس المظفر ؛ ١٩ و ٢٠٩
بايزيد الثانى ؛ ١٦٦ و ٢٥٢ و ٢٥٣ و ٣٧٢
بحر الزقاق ؛ ٨٣ و ٨٤ و ٩٤ و ٩٧ و ٩٨
البرتغال ؛ ٦١ و ١٣٢
برشلونه ؛ ٥٤ و ٣١٣
البربر ؛ ١٤ و ١٩ و ٤١ و ٤٧ و ٤٨ و ٥٣ و ٣٢٤
برونات ( الدون ) ؛ ٣٧٣
بسطة ؛ ٤١ و ١٢٠ و ١٦٨ و ١٧٠ و ١٧١ و ١٧٤
بطرنا ؛ ٣١ و ١١٢
بطليوس ؛ ١٣ و ٢٣
بكاتوستى ؛ ٣١٠
بلانش دى بوربون ؛ ١٠٨ و ١٣١
بلد الوليد ؛ ١٣٣ و ١٣٩ و ٢٤١
بلش مالقة ؛ ٨٩ و ١٠٠ و ١٥٥ و ١٦٢ و ١٦٣ و ١٦٧

بلنسية ؛ ١٣ و ٢٠ و ٢٥ و ٢٦ و ٤٣ و ٤٧ و ٥٦ و ٦٩ و ٢٦٤ و ٢٨٠ و ٢٨١ و ٣٨٥ و ٢٨٧ و ٢٩٠ و ٢٩٤ و ٣٢٠ و ٣٢١ و ٣٦٠
بليدا ؛ ٣٠٧
بنو أشقيلوله ؛ ٢٩ و ٣٨ و ٧٤ و ٧٥ و ٧٦ و ٧٧ و ٧٨ و ٧٩ و ٨٣
بنو الأحمر ؛ ١٥٧ و ٢٠٥ و ٣٢٢ ٣٢٣ و ٣٣٠ و ٣٤١
بنو الثغرى ؛ ١٢٤ و ١٨٢ و ٢٢٩
بنو العلاء ، شيوخ الغزاة ؛ ٨٢ و ٨٦ و ٩١ و ٩٢ و ٩٤ و ٣٦ و ٣٢٣ و ٣٢٤
بنو سراج ؛ ١١٧ و ١١٨ و ١٢٤ و ١٥٢ و ٢٢٦
بنو عامر ؛ الموريسيكون ؛ ٢٧٨ و ٢٧٩
بنو مرين ؛ ٣٤ و ٤٨ و ٧١ و ٧٣ و ٨٠ و ١٠٢ و ١٢٣ و ١٤٦ و ٣٢٣
بنو نصر ؛ ٢٧ و ٤٠ و ٩٥ و ١٠٢ و ١٥٠ و ٣٢٢
بنو وطاس ؛ ١٢٣ و ١٩٩ و ٢٠٦ و ٢٠٧
بياسة ؛ ١٣ و ٢٨ و ٦٦ و ٩٢ و ١٥٩
بيدرو الأول ، ملك اراجون ؛ ٦٥
بيدرو الثانى ، ملك اراجون ؛ ٦٨
بيدرو الثانى ملك قشتاله ( دون بطره ) ؛ ١٠٧ و ١٠٨ و ١٠٩ و ١١٢ و ١٣١ و ١٣٦
بيدرو الثالث ملك قشتاله ( القاسى ) ؛ ٥٧ و ١٠٧ و ١٠٨ و ١٠٩ و ١٣١
بيدرو الثالث ملك اراجون ؛ ١٣٤
بيدرو الرابع ملك اراجون ؛ ٣٥ و ١٣٦
بيدرو ، الدون ؛ ٩١ و ٩٢ و ١٢٩

(ت — خ)

تاشفين بن يعقوب ؛ ٨٧
تركو يمادا ؛ ٢٣٩ و ٢٤٠ و ٢٤١
تركيا ؛ ٤٥ و ١٦٦
تطاون ؛ ٨٧ و ٢٨٧
تلمسان ؛ ٧٣ و ٧٥ و ٨٥ و ٨٦ و ١١٥ و ٢٩٨ و ٣٦٩ و ٣٧٠
تونس ؛ ١٢ و ٢٦ و ٢٨ و ٢٩ و ٩٥ و ١١٥ و ١١٨ و ٢٨٥ و ٢٩٩
ثريا الرومية ؛ ١٥٠ و ١٥١ و ٢٢٠
ثويداد ريال ؛ ٣٠٥
جايم الأول ؛ ملك اراجون ؛ ٢٥ و ٤٣ و ٦٨ و ٦٩ و ١٣٤ و ١٣٦
جايم الثانى ؛ ٨٨ و ١٣٥
جارسيا راميرز ؛ ٦١
جان بلاط ، السلطان ؛ ٢٣٣
جبل طارق ؛ ٥٧ و ٨٨ و ٩٤ و ٩٦ و ٩٩ و ١٠٠ و ١٠٦ و ١١٦ و ١٢٠ و ١٢٢ و ١٢٩ و ١٣٠ و ٢٨٣ و ٣٢٥
جنة العريف ؛ ١٠٦ و ٢١٤ و ٣٣٠
جنوة ؛ ٢٨١ و ٢٨٢ و ٣٢٨
جنزالفو دى كردوفا ؛ ١٨٥
جويريرو ؛ ٢٧٧
جيان ؛ ١٣ و ٢٨ و ٣١ و ٦٦ و ١١٣ و ١٢٢ و ١٧٠
حامد الثغرى ؛ ١٥٧ و ١٦٣
حبوس بن ماكسن ؛ ١٩
حداره ، نهر ؛ ١٥ و ٢٠٩ و ٢١٠
خوان ، الدون ؛ ٢٧٢ و ٢٧٣
خير الدين ، باربا روس ؛ ٢٨٣ و ٢٨٤

(د — ز)

دانية ، ١٣ و ٢٥ و ٢٨٤ و ٢٩٤ و ٣٢١
دوزى ، المستشرق ؛ ٥٦ و ٣٧٦
ديرنبور ، المستشرق ؛ ٤٤ و ٣٧٦
ديزا ؛ ٢٢٨ و ٢٤١
ديوان التحقيق ؛ ٥٩ و ٢٢٥ و ٢٢٨ و ٢٣٢ و ٢٣٣ — ٢٥٢ و ٣٧١ و ٣٧٣

دى آجلار ؛ ٢٣٤
دى ليرما ، الدوق ؛ ٢٨٩
دى هيتا ، ٢٢٠
راميرو ، ملك ناڤار ؛ ٦١
ربيرا ، المطران ؛ ٢٨٩ و ٢٩٠
رندة ؛ ٤١ و ٤٧ و ٧٥ و ٨٤ و ٨٩ و ١٠٠ و ١١٩ و ١٢٠ و ١٥٧
رومة ؛ ١٩٧ و ٣٢٨
ريموند برنجار ؛ ٥٤
زاوى بن زيرى ؛ ١٩
الزغل ؛ راجع ال
الزلاقة ؛ راجع ال
زناته ، قبيلة ؛ ٤٨ و ٧١
زيان ، أبو جميل ؛ ٢٤ و ٢٥ و ٢٦ و ٦٨ و ٣٣٦
زرياب ؛ ٣٨٢
زيدان ، السلطان ؛ ٢٨٧ و ٢٩٠ و ٣٧٤

( س . ش )

سالادو ؛ ٩٧ و ١٣٠
سانشو الثانى ، ملك قشتالة ؛ ٥٦
سانشو المتوحش ؛ ١٢٨
سانشو الكبير ؛ ٦٠
سانشو السابع ملك ناڤار ؛ ٦٥
سانشو ابن الفونسو العاشر ؛ ٨٠ و ٨١ و ٨٢ و ٨٣
سبتة ؛ ٣٦ و ٨٥ و ٨٦ و ٨٧ و ١٠٢ و ١١٠
سرقسطة ؛ ١٣ و ٥١ و ٢٩٠
سعد بن اسماعيل ، السلطان ؛ ١٢١ و ١٢٢ و ١٢٤ و ١٣٤ ؛ ١٤٧ و ٣٣١
السفرديم ؛ ٤٨
سكوت ؛ ٣٩ و ٤٠ و ٣١٢
سلا ؛ ٢٨١ و ٢٩٨ و ٣٥٤
سليم الأول ؛ ٢٨٤
سيرفانتس ؛ ٢٧٩ و ٢٨٥
سيير انقادا ( جبل شلير ) ؛ ١٥ و ٤١ و ١٨٠ و ١٨٢ و ٢٦٧
شارلكان ( شارل الخامس ) ؛ ١٧ و ٢٠٩ و ٢١٤ و ٢٤٨ و ٢٥٦ و ٢٦٠ و ٢٦٢ و ٣٧٢
شارلمان ؛ ٥٣
شاطبة ؛ ١٣ و ٢٥
شانت ياقب ؛ ٦٠
شريش ؛ ١٤ و ٢٣ و ٢٨ و ٣٣ و ٣٦ و ٨٢ و ٨٣
شفارتز ، برتولد ؛ ١٦٠
شلوبانية ؛ ٧٩ و ١١٤ و ١١٥
شنتفى ؛ ١٨٠
شنتمرية ؛ ٣٣
شنيل ؛ ١٥ و ١٥٥ و ١٧٩ و ١٩٢
شوقى ، أحمد ؛ ١٩٢ و ٢٢٠

( ص — ط )

صالح ريس ؛ ٢٨٤
صلاح الدين ، السلطان ؛ ٥٣ و ٣١٩
صقلية ؛ ١٣٤ و ١٣٦ و ١٦٦ و ٢٩١
طارق بن زياد ؛ ١٤ و ٣١٤
طرغود ؛ ٢٨٤
طليطلة ؛ ١١ و ٤٤ و ٥٠ و ٨١
طنجه ؛ ٨٤ و ٨٦
الطوائف ؛ ١١ و ١٢ و ١٩ و ٨٢ و ٣٤١

( ع . غ )

عائشة الحرة ؛ ١٤٩ و ١٥٠ — ١٥٣ و ١٥٥ و ١٥٦ و ١٦٠ و ١٩٢ و ١٩٧
عبد الحق بن خالد ؛ ٧٢ و ٩٣
عبد الرحمن بن الحكم ؛ ٤٦ و ٣٨٢
عبد الرحمن الناصر ؛ ٥٣ و ٥٦ و ١٥١ و ٣١٤ و ٣١٧ و ٣٧٨ و ٣٧٩
عبد العزيز المرينى ؛ ٣٥٦ و ٣٥٧
عبد المؤمن ، خليفة الموحدين ؛ ٢١٨ و ٣١٩

عثمان بن أبى العلاء ؛ ٨٦ و ٨٨
و ٩١ و ٩٣ و ٩٥
عثمان داى ؛ ٢٨٥ و ٢٩٨
العرب المتنصرون ؛ راجع الموريسكيون
على بن أحمد الغسانى ؛ ٣٣٨
على العطار ؛ ١٥٤
على بن تاشفين ؛ ٤٧
على بن محمد بن خروف ؛ ٣٣٨
عمر بن الأفطس ؛ ٣١٧
عمر باى ؛ ٢٨٥
عمر بن عبد المجيد الأزدى ؛ ٣٣٨
عيسى بن سليمان الرعينى ؛ ٣٣٨
غرناطة ؛ ١١ و ١٣ و ١٤ و ١٦ — ١٩
و ٢٣ و ٢٧ و ٢٩ و ٣٠ و ٤١
و ٤٤ و ٤٥ و ٤٧ و ٤٨ و ٥٧
و ٨٠ و ٨٥ و ٨٨ و ٨٩ و ٩٢
و ٩٣ و ١٠٦ و ١١٢ و ١١٤
و ١١٦ و ١١٨ و ١٢١ و ١٢٥
و ١٤٦ و ١٥٢ و ١٥٤ و ١٥٩ —
١٦١ و ١٦٧ و ١٧٣—١٧٥ و١٧٩
— ١٨٣ و ١٨٦ و ١٩٠ و ١٩٧
و ١٩٨ و ٢٠٣ و ٢٢٥ و ٢٢٨ —
٢٣١ و ٢٦٤ و٢٦٩ و ٢٧٠ و٢٨٢
و ٢٨٥ و ٣٢٠ و ٣٢١ و ٣٢٤
و ٣٢٦ — ٣٢٨ و ٣٤٣ و ٣٦٨
و ٣٧٠ و ٣٧١
غمارة ؛ ١٥٧ و ١٦٣

(ف . ق . ك)

فاس ؛ ٧٢ و ٧٣ و ٧٥ و ٨٢ و ٨٧
و ٨٨ و ٩٤ و ١٥٣ و ٢٠٢ و٢٠٦
٢٣٤ و ٢٣٩ و ٢٩٨
فرج بن اسماعيل ؛ ٨٤ و ٨٥ و ٨٩
فرديناند الثالث ؛ ٢٣ و ٢٥ و ٣٠
و ٣٢ و ٣٣ و ٦٥ و ٦٦ و ٦٧
و ٦٨ و ١٢٧
فرديناند الرابع ؛ ٨٨ و ١٢٨ و ١٢٩
فرديناند ملك نابل ؛ ١٦٨ و ١٦٩
فرديناند صاحب انتكيرة ؛ ١١٦ و١٣٦
و ١٣٧
فرديناند الخامس ( الكاثوليكى ) ؛ ٥٨
و ٥٩ و ١٣٤ و ١٣٨ — ١٤٢
و ١٤٨ و ١٥٣ — ١٥٨ و ١٦١
و ١٦٤ و ١٦٦ و ١٦٨ — ١٧١
و ١٧٦ و ١٧٩ و ١٨٢ و ١٨٩
و ١٩٢ و ١٩٣ و ١٩٧ — ١٩٩
و ٢٢٦ و ٢٢٧ و ٢٣٢ و ٢٣٤
و ٢٤٠ و ٢٤٦ و ٢٤٨ و ٢٦٠
و ٢٦١
فرديناند دى ڤالور ( محمد بن أمية ) ؛
٢٦٧ و ٢٦٨ و ٢٦٩ و ١٧٠
و ٢٧١
فيليب الثانى ؛ ٢٦٠ و ٢٦٢
و ٢٦٤ و ٢٧٠ و ٢٧٤ و ٢٨٨
و ٢٨٩ و ٣٧٢ و ٣٧٤
فيليب الثالث ؛ ٢٨٧ و ٢٨٨ و ٢٨٩
٣١٠ و ٣٧٤
قادس ؛ ٣٣ و ١٢٧
قرطاجنة ؛ ١٣ و ٣٠
قرطبة ؛ ١٣ و ٢٣ و ٢٤ و ٢٦ و ٤٤
و ٤٧ و ٦٦ و ٦٧ و ١١٩ و ٣٢٠
و ٣٢١
قرمونة ؛ ٢٨ و ٣١ و ٨٢
قسطنطينية ؛ ١٢٤ و ١٦٤ و ١٦٥
و ١٦٦ و ١٩٧ و ٢٥٣ و ٢٥٥
و ٢٨٢ و ٣١٧ و ٣٢٨
قشتالة ؛ ٢٠ و ٢٥ و ٣١ و ٤٣ و ٤٤
و ٥٠ و ٥٣ و ٦١ و ٦٢ و ٦٥
و ٦٦ و ٨٠ و ٨١ و ٩٢ و ١٠٩
و ١١٤ و ١٢١ و ١٣٠ و ١٦٨
قطلونية ؛ ٦١ و ١٣٤
قمارش ؛ ٨٣ و ١٥٣ و ٢١٢ و ٢١٣
القمامة ؛ ١٦٦ و ١٦٧
كارلوس ، أمير ڤيانا ؛ ١٣٧

كمنيس ؛ ٢٢٨ و ٢٢٩ و ٢٤٨ و ٣١١ و ٣١٢
الكورتيس ؛ ٣١ و ١٢٠ و ١٣١ و١٣٦
كوزمى بن عامر ؛ ٢٦٤ و ٢٧٨ و ٢٧٩
كوندى ؛ ٣١٣ و ٣٧٦

(ل . م . ن)

لاين پول ؛ ٩١٤
لقنت ؛ ١٣ و ٣٠ و ٢٩٤
لورنتى ؛ ٢٤٢ و ٢٩٧ و ٣٠٨
لوس ڤيليس ؛ ٢٧٠
لوشة ؛ ١٥ و ٤١ و ١٠٥ و ١٥٤ و ١٥٨ و ١٦٢ و ١٧٤
لى ، هنرى تشارلس ؛ ٣٠٦ و ٣٠٧ و ٣١٠ — ٣١٢
ليڤى بروڤنسال ؛ المستشرق ؛ ٣٧٧ و ٣٨٠
ليون ؛ ٥٣ و ٦١ و ٦٢ و ٦٥
مارتن الأول ؛ ٥٧ و ١١٥ و ١٣٦
مارتيرى ، بيترو ؛ ١٩٨ و ٢٣٣ و٢٨٣
ماسدى ؛ ٣٧٦
مالقة ؛ ٢٩ و ٣٨ و ٤١ و ٤٤ و ٧٨ و ٧٩ و ٨١ و ٨٤ و ٨٥ و ٨٩ و ١٠٠ و ١٠٨ و ١٤٧ و ١٥٤ و ١٥٧ و ١٦١ و ١٦٣ و ١٦٤ و ١٦٥ و ١٦٧ و ١٦٩ و ٣٢٥
محمد بن أدريس المرينى ؛ ٣٤
محمد بن اسماعيل ؛ ٩٢ — ٩٥
محمد الأحنف ؛ ١٢١ و ١٢٢
محمد الزغير ؛ ١١٨ و ١١٩
محمد الشيخ ؛ ١٢٣
محمد الغنى بالله ؛ ٥٧ و ١٠٥ — ١٠٨ و ١١١ — ١١٣ و ٣٢٣ و ٣٤١ و ٣٦٢
محمد الفاتح ؛ ٢٤
محمد الفقيه ؛ ٧١ و ٧٤ و ٧٩ و ٨١ — ٨٥ و ١٢٧ و ٢٠٩ و ٢١٦ و ٣٤١ و ٣٤٣
محمد بن المحروق ؛ ٩٣ و ٣٢٣
محمد المخلوع ؛ ٨٥ و ٨٧ و ٨٨ و ٣٢٢ و ٣٤١ و ٣٤٣
محمد بن أمية ؛ راجع فردنياند دى ڤالور
محمد بن عبد المنعم الجليانى ؛ ٣٣٩
محمد بن يوسف بن الأحمر ؛ ٢٧—٣١ و ٣٣ — ٤٠ و ٥٧ و ٧١ و ٨٩ و ٢٠٩ و ٣١٤ و ٣٢٢ و ٣٣٣ و ٣٤١
محمد بن يوسف الثانى ؛ ١١٣ و ١١٤ و ١١٥ و ٣٦١
المدجنون ؛ ٤٢ و ٤٣ و ١٥١ و ١٧٤
المرابطون ؛ ١٢ و ١٩ و ٤٢ و ٤٦ و ٤٨ و ٤٩ و ٥١ و ٧٥ و ٧٧ و ٨٢ و ١٤٦ و ٣١٨ و ٣٨١
مراد الريس ؛ ٢٨٥
مراكش ؛ ٧٣ و ٩٨ و ١٦٥ و ٢٨٧
مربلة ؛ ٧٩ و ١٠٠
مرسية ؛ ١٣ و ٢٠ و ٢٤ و ٢٦ و ٣٠ و ٤٤ و ٤٧ و ٦٧ و ١١٣ و ١١٨ و ٢٨١ و ٣٢٠
مريمة ؛ ١٥٥
مصر ؛ ٤٥ و ٩٩ و ١٥٩ و ١٦٤ — ١٦٧ و ١٦٩ و ٢٣٣ و ٢٥٣ و٢٥٤ و ٢٩٦ و ٢٩٨
مطرف الأشبيلى ؛ ٣٤٠ و ٣٤١
المعتصم بن صمادح ؛ ٣١٨
المعتمد بن عباد ؛ ٣١٨
المقرى ؛ ١٦ و ٣٨ و ٢٠٠ و ٢٠٦ و ٢٠٧ و ٢٣٠ و ٢٣٤ و ٢٩٨ و ٣٦١ و ٣٦٤ و ٣٨١
مليلة ؛ ١٩٩

الموحدون ؛ ١٢ و ١٩ و ٢٠ و ٢٣ و ٢٥ و ٣٤ و ٣٥ و ٤٢ و ٤٨ و ٤٩ و ٦٢ و ٦٦ و ٧١ و ٧٢ و ٧٥ و ١٤٦ و ١٥٩ و ٣١٨ و ٣١٩ و ٣٢٠ و ٣٢٧ و ٣٣٣ و ٣٨١
الموريسكيون ؛ ٢٢٤ و ٢٢٥ و ٢٣١ و ٢٥٠ و ٢٥١ و ٢٥٢ و ٢٥٥ و ٢٧٥ و ٢٧٦ — ٢٨٠ و ٢٨٧ — ٣٠٠ و ٣٠٢ و ٣٠٣ و ٣٠٥ و ٣٠٦ و ٣٠٨ و ٣٧٢ و ٣٧٣
موسى بن أبى الغسان ؛ ١٨١ — ١٨٤ و ١٨٧ — ١٨٩
موسى بن ميمون ؛ ٤٨ و ٣١٩
ميلان ، أنطونيو ؛ ١٦٧ و ١٦٨
مونتيل ؛ ١٠٩ و ١٣١
منديخار ؛ ٢٦٩
نابل ؛ ١٣٤ و ١٣٧ و ١٦٧ و ١٦٨ و ١٦٩
ناڤار ؛ بلاد البشكنس ؛ ٥٣ و ٦٠ ، و ٦١ و ٦٢ و ١٣٧
ناڤاريتى ؛ ٢٩٧
النصارى المعاهدون ؛ ٤٦ و ٤٧
نصر ، أبو الجيوش ؛ ٨٧
نعيم بن رضوان ؛ ١٨٢ و ١٨٣
نونيو دى لارا ؛ ٣٦ و ٧٦ و ٧٧

( هـ . و . ى )

هشام بن عبد الرحمن ، ٤٩
هنرى الثالث ، ملك قشتاله ؛ ٣١٤ و ٣٣١
هنرى الرابع ، ملك فرنسا ؛ ٢٨١
هنرى الرابع ، ملك قشتالة ؛ ١٢٢ و ١٣٣ و ١٣٤ و ١٣٨ و ١٣٩ و ١٤٧ و ٣٣١
هنرى دى ترستمارا ؛ ١٠٨ و ١٠٩ و ١٣١ و ١٣٢ و ١٣٦
وادى آش ؛ ٢٨ و ٢٩ و ٤١ و ٦٦ و ٨٣ و ٨٩ و ٩٣ و ١٠٦ و ١١٨ — ١٢٠ و ١٥٤ و ١٦١ و ١٧٠ و ١٧١ و ١٧٢ و ١٧٤ و ١٧٦ و ٣١٤
وهران ؛ ١٧٢ و ٢٣٤ و ٢٩٦
يحيى بن ذى النون ؛ ٥٠
يحيى بن غانية ؛ ١٩
يعقوب المنصور ، السلطان ؛ ١٢ و ٥١ و ٥٣ و ٦٢ و ٧٢ و ٧٩ و ٩٧
يغمراس بن زيان ؛ ٧٣ و ٧٤
اليهود المتنصرون ؛ ٢٣٨ و ٢٣٩ و ٢٤٩
يوحنا الأول ، ملك قشتالة ؛ ١٣٢
يوحنا الثانى ؛ ١١٦ و ١١٨ و ١١٩ و١٢٢ و ١٣٢ و ١٣٧ و ١٣٨
يوسف أبو الحجاج ؛ ٩٥ و ٩٦ و ٩٧ و ٩٨ — ١٠٠ و ١١١ و ١١٠ و ١٥٠ و ١٦٠ و ٣٤١ و ٣٤٨ و ٣٥٠ و ٣٥٢ و ٣٦٤
يوسف بن الأحمر ، ( الثانى ) ؛ ١١٣ و ١١٤ و ٣٦٧ و ٣٦٨
يوسف المستنصر ؛ ٢٠ و ٢٥ و ٧٢
يوسف بن تاشفين ؛ ١٢ و ١٩ و ٥١
يوسف بن سراج ؛ ١١٧ و ١١٨ و ١١٩ و ١٢٠
يوسف بن كماشة ؛ ١٨٥ و ١٩٩
يوسف بن محمد ؛ ١١٥ و ١١٦ و ١١٧